التطور التكويني لرؤية التاريخ في الفكر العربي الاسلامي

اطروحة تقدم بها
داود سلمان خلف حمد الزبيدي

الى مجلس كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد -
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة
في التاريخ الأسلامــي

بإشراف
الاستاذ الدكتور
خـاشــع المعـاضيـدي

ربيع الاول 1425هـ بغداد نيسان 2004م

The Formative Development of The View To History in Islamic Arab Thought

A Dissertaion Submitted By :
Dawood Salman Khalf Hamad Al-Zubbaidi

To The council of the college of Education (Ibn-Rushd)-Baghdad University In partial Fulfillment of the requirements of Ph.D. in Islamic History

Supervised By
Prof. Dr. Khashiá Al-Maádhidi

1425H. Baghdad 2004A.D.

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

صدق الله العلي العظيم

سورة يوسف: الآية111

المحتويـــــات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة ونطاق البحث	6-1
الفصل الاول : **فكرة التاريخ عند العرب قبل الاسلام ....**	37-7
المبحث الاول : الفكر التاريخي في الادب العربي قبل الاسلام...............	22-7
المبحث الثاني : الفكر الديني عند العرب قبل الاسلام وآثره في تطور الفكر التاريخي	37-23
الفصل الثاني : **التكوين التاريخي في القرآن الكريم ....**	74-38
المبحث الاول : آثر التوحيد في الفكر التاريخي **.......................**	55-38
المبحث الثاني : الرؤية التاريخية في القصص القرآني	74-56
الفصل الثالث : **آثر الفلسفة في تطور الفكر التاريخي عند العرب المسلمين ...**	101-75
المبحث الاول :الفلسفة الاسلامية والفكر التاريخي	83-75
المبحث الثاني : رؤى الفلاسفة العرب المسلمين لمشاكل عصرهم	101-84

الفصـــل الرابع : **تطور علم التـاريخ عنـد المؤرخين العرب المسلمين بعد الطبري(ت310هـ/923م) حتى عصر السخاوي (ت902هـ/1497م) ....**	102-134
المبحث الاول :آثر التمزق السـياسـي والتسـلط والغزو الاجنبي في التكوين التـاريخي في الفكر العربي الاســلامي	102-109
المبحـث الثـاني :رؤيـة التـاريخ عنـد المؤرخين العرب المســلمين بعد الطبري (ت310هـ/923م) حتى عصـر السخاوي (ت902هـ/1497م)	110-134
خلاصة البحث	135-136
ثبت المصادر	137-156
ملخص الدراسة باللغة الانكليزية	1-2

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة
ونطــاق البحــث

خير ما نفتتح به هذه الاطروحة التي تتناول التطور التكويني لرؤية التاريخ في الفكر العربي الاسلامي حمد الله وشكره والصلاة والسلام على رسوله الامين واله الاطهار وصحبه الاخيار .

أما بعد فقد جاءت هذه الاطروحة تواصلا مع رسالتنا لنيل درجة الماجستير ((اثر الحديث النبوي الشريف في التدوين التاريخي حتى نهاية القرن الثالث الهجري)) اذ ان كتاب الله القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانا الاساسين اللذين انطلقت من خلالهما اغلب الدراسات الاسلامية التي تبحث في العقيدة والفكر .

فكما كان الاهتمام بتدوين الحديث النبوي الشريف صاحب الاثر الكبير في مناهج المؤرخين العرب المسلمين في كتاباتهم التاريخية ، نجد ان القران الكريم الذي جاء عاما شاملا مخبراً عن حكمة الله جل في علاه في خلق الكون والانسان داعيا الانسان للتفكر والتدبر في اياته لاستنباط مايناسبه في كل عصر وزمان من النواميس الالهية .

الامر الذي ادى الى تطور كبير في الفكر العربي الاسلامي اذ وجد كل مختص ضالته في كتاب الله العزيز .. كيف لا وهو الاحاطة الكلية بالكون والحياة والخالي من الوضع والتحريف والتبديل اذ حفظته العناية الالهية ، قال تعالى :

((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [1] .

ولما كان القران الكريم مصدرا مهما لكتابات مفكري الاسلام على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية فقد اثرى الفكر التاريخي عند العرب المسلمين بعدة اتجاهات منها :

ماتضمنه من احاطة كلية للكون والانسان اوحت بفكرة الوجود الكلي وكون الجزئيات مرتبطة بعضها ببعض ضمن نظام الهي محدد بنواميس دقيقة فكان

---

[1] سورة الحجر ، الآية 9 .

بذلك الهاما للمؤرخين لبدء كتابة تواريخهم بدءاً بالوجود مروراً بتوالي الازمنة وصولا الى عهودهم .

ومنها ايضاً تأكيده الوحدانية ووحدة الرسالات السماوية في انتماءاتها واهدافها اذ ان كل الاشارات والقصص التاريخي الوارد في القران الكريم كانت ترمي الى غاية توضح للانسان مساره وتحدد له الطرق الموصلة للسعادة الابدية وكذلك الطرق الموصلة للشقاء الابدي وبذلك فان تاريخ الانسان من خلال خلقه والوقائع والحوادث التي يمر بها لم يكن سُدى وبدون هدف .

لذلك فقد كان اهتمام مفكري العرب المسلمين بالقران الكريم بالدرجة الاولى قد خلف لنا كما هائلا من الكتابات الفكرية التي اسهمت في التكوين التاريخي عند العرب المسلمين بمختلف الاتجاهات .

ومن هنا تظهر اهمية هذا الموضوع فهولاء على الرغم من ان كتاباتهم كانت تخدم اغراضا محددة ، فقهية كانت ام عقائدية اول الامر الا انها كانت ضمنا تبحث في التاريخ فكرته ومجالاته حتى انها لم تهمل تاريخ العرب قبل الاسلام كما هو الحال عند من أرخ للسيرة والمغازي والحديث النبوي الشريف اذ ان البحث في احوال الرجال خدمة للحديث الشريف خلف لنا تاريخا شاملا لعصورهم .

وبذلك فقد تكونت لدينا سلسلة مترابطة الحلقات للتأريخ تبدأ من فترة ماقبل الاسلام وما بعده مروراً بكل مراحل تكوّن الدولة العربية الاسلامية وماتم خلال ذلك من نشوء الفرق والمذاهب التي نقل لنا اربابهاً افكاراً متباينة ومتناقضة تمثل رؤى مختلفة لتوجهات الانسان ومعالجاته لشؤونه الحياتية الفرعية منها اذ ان ما ميز المسلمين من غيرهم اتفاقهم في اصول دينهم .

ان كماً كبيراً من كتابات علماء الامة ومؤرخيها وفلاسفتها قد اتاح للاجيال اللاحقة القدرة على ممارسة عملية النقد التاريخي من خلال المقارنة بين الافكار التي وصلتنا اذ كان لطروحاتهم اثر كبير في الفكر التاريخي عند العرب المسلمين .

ولمحاولة تحديد منهجية لهذا التطور التكويني لفكرة التاريخ اندفعتُ لآختيار عنوان هذه الاطروحة التي كانت بالاساس ترمي الى دراسة اثر القران الكريم في الفكر التاريخي الا ان استاذي الفاضل الدكتور طالب العنزي وبعد اطلاعه على خطة البحث ارتأى العنوان الحالي

للاطروحة ومن خلال دراسة متمعنة للمصادر العربية الاسلامية لبيان اهمية الفكر العربي الاسلامي ككل في تطور فكرة التاريخ .

وياتي في مقدمة ذلك القران الكريم كتاب الله المنهل الذي كان مدعاة للتفكر والتأمل وكذلك كتب الادب العربي التي كانت منبعاً مهما لبيان تناول العرب قبل الاسلام للتاريخ في حياتهم اليومية واشاراتهم الى الماضي والحاضر والمستقبل وعلاقة ذلك كله مع الانسان ، اذ نجد ذلك واضحا في اشعارهم وخطبهم وما جرى على السنتهم امثالا شائعة .

واجهت الاطروحة صعوبة اساسية فبالرغم من ان الدراسات الحديثة القيمة التي تناولت بعض جوانب الموضوع الخاص بالبحث الا انها في الواقع لم تفصل بين التأريخ من حيث كونه وقائع واحداث ، والتاريخ كأحاطة كلية بالانسان وعلاقاته بعضه ببعض وتأثره وتأثيره في البيئة التي يعيش فيها ، انما كان اغلب اهتمامها ينصب على التاريخ السياسي وذكر الحوادث والوقائع.

لذا كان على هذه الدراسة ان تبحث في تطور فكرة التاريخ عند العرب المسلمين بدءاً من عصر ماقبل الاسلام وصولا الى العصر الاسلامي والمراحل المتأخرة من قيام الدولة العربية الاسلامية لتأكيد ريادة العرب في فهمهم لتاريخ الانسان من خلال رؤيتهم لذلك التاريخ على انه وحدة متناسقة فيها من وحدة الغرض ومن الدلالة ومن تتابع العلل والاسباب مايكفي لايضاح حاضر الاشياء ومستقبلها. وبذلك يتكون التطور بفكرة التاريخ عندهم فعلى الرغم من كونه سجل لحوادث الانسان فهو في ذات الوقت مدعاة للتأمل والتفكر في اسباب هذه الحوادث ونتائجها من خلال تتابعها على مر العصور لاستخراج المعالجات لمشاكل المجتمع سياسية واجتماعية واقتصادية .

ومن المصادر المهمة التي انتفعت بها هذه الاطروحة الكتب السماوية اذ افادتنا في دراسة تاريخ الاديان بما يتعلق بحاجتنا لذلك .

وكذلك كتب التاريخ العام اذ رجعت اليها الاطروحة لان اغلب هذه المؤلفات تناولت التاريخ وفق نظرة اسلامية اعتمدت اشارات القرآن الكريم للأمم القديمة فضلاً عن رؤى المؤرخين انفسهم من خلال معارفهم المكتسبة بتأثير البيئة ومن هذه المؤلفات :

تاريخ اليعقوبي لاحمد بن واضح اليعقوبي (ت292هـ/904م) وتاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/923م) ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م) وتجارب الامم لابي علي احمد بن مسكويه (ت 421هـ/1030م) والمنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي ، ابي الفرج جمال الدين (ت 597 هـ /1200 م) ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ابي الفدا اسماعيل (ت 774هـ/1372م) .

وكذلك مؤلفات فلاسفة العرب المسلمين اذ كانت بعض مؤلفات هؤلاء تتضمن رؤاهم الفلسفية التي اطروها بانتمائهم الاسلامي معالجين بها مشاكل العصور التي كانوا يعيشون فيها من خلال استلهام التاريخ عظة وعبرة برؤى فلسفية تشتمل على الاحاطة الكلية بالمشكلة التاريخية لوضع حلول تعتمد الكل لا الجزء اذ لم تكن مشاكل المجتمع عندهم فردية بل كانت شاملة بابتعادها عن القيم الروحية التي جاءت بها النواميس الالهية.

ومن هذه المصادر كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة لابي نصر الفارابي (ت 339هـ/950 م) وكتاب رسائل اخوان الصفا لاخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري) وكتاب المنقذ من الضلال لابي حامد الغزالي (ت505 هـ/1111 م) والمقدمة لابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) .

كذلك فان الاطروحة رجعت الى كتب التراجم ككتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابي العباس ابن خلكان (ت681 هـ/1283م) والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874 هـ/1471م) وكتاب شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089هـ) .

ومن المصادر المهمة التي استفادت منها الاطروحة كتب الادب العربي كما تم ذكره ومن ذلك دواوين الشعر الجاهلي وكتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ/845 م) والبيان والتبيين لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت حوالي 255هـ/868 م) .

الى جانب ذلك فأن الاطروحة رجعت الى عدد من كتب الادب الاخرى والانساب وكتب اللغة وبعض المؤلفات التي تتعلق بعلم التاريخ والتي افادت البحث في بعض من الجوانب التي تدلل على اهتمام العرب في التاريخ فكرة وتدوينا سواء في الحقبة التي سبقت ظهور الاسلام ام في اثنائه .

والى جانب المصادر الاولية فأن الاطروحة اعتمدت على عدد من المصادر الثانوية والمقالات والبحوث العربية والمعربة فضلا عن الرسائل الجامعية وهي في الواقع دراسات قيمة افادت الدراسة في عدد من الجوانب التحليلية والمقارنة .

فمن المصادر الثانوية العربية كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي وكتاب الامثال في النثر العربي القديم للدكتور عبد المجيد عابدين وكتاب الحوار في القران الكريم لمحمد حسين فضل الله وكتاب التفسير الاسلامي للتاريخ لعماد الدين خليل .

اما المصادر المعربة فمنها علم التاريخ لفرانز روزنثال وعلم التاريخ لهاملتون جب وقيمة التاريخ لجوزف هورس والتاريخ العربي القديم لديتلف نيلسن وتفسير التاريخ لعبد الحميد صديقي وقصة الحضارة لول ديورانت .

وقد توزعت الاطروحة على اربعة فصول تضمن الفصل الاول فكرة التاريخ عند العرب قبل الاسلام وقد اشتمل على مبحثين الاول الفكر التاريخي في الادب العربي قبل الاسلام اما الثاني فكان عن الفكر الديني عند العرب قبل الاسلام واثره في تطور الفكر التاريخي .

وكان الفصل الثاني عن التكوين التاريخي في القران الكريم ، وقد اشتمل على مبحثين الاول عن اثر التوحيد في الفكر التاريخي عند العرب المسلمين اما الثاني فكان عن الرؤية التاريخية في القصص القرآني .

اما الفصل الثالث فكان عن اثر الفلسفة في تطور الفكر التاريخي عند العرب المسلمين ويشتمل على مبحثين الاول عن الفلسفة الاسلامية والفكر التاريخي اما الثاني فيتضمن رؤى الفلاسفة العرب المسلمين لمشاكل عصرهم .

وكان الفصل الرابع عن التكوين التاريخي عند المؤرخين العرب المسلمين بعد الطبري (ت310هـ/ 923 م حتى عصر السخاوي ت902 هـ /1497 م) ويشتمل على مبحثين الاول

يتناول اثر التمزق السياسي والتسلط والغزو الاجنبي في التكوين التاريخي في الفكر العربي الاسلامي، اما الثاني فقد تضمن رؤى المؤرخين العرب المسلمين الكبار لفكرة التاريخ .

ولقد توخت الاطروحة الامانة العلمية بما تضمنته من معلومات من اجل الوصول الى الحقيقة التي هي هدف كل باحث يؤمن بالعدل .

وقبل نهاية هذا العرض الموجز لابد لي وعرفانا بالجميل ان اتقدم بالشكر الجزيل الى استاذي الفاضل الدكتور خاشع المعاضيدي الذي عرفته استاذاً لمادتين في التاريخ الاسلامي بعيدتين كل البعد عن موضوع هذه الاطروحة مما دعاني للتوجس حينما علمت بموافقته على الاشراف على اطروحتي . ولكن هذا التوجس سرعان ما تبدد بعد سماعي لملاحظاته القيمة وتدخلاته التي افصحت عن شمولية في المعرفة والاطلاع والفكر فقد اغتنت الاطروحة بتلك الملاحظات والتنبيهات فله مني كل الشكر وجزاه الله مني خير الجزاء ومنحه الصحة والسداد .

ولقد بذلت في اعداد هذه الاطروحة قصارى جهدي فان اصبت بما ذهبت اليه فبتوفيق من الله جل في علاه وان اخطأت الهدف فالكمال لله الواحد الاحد قال تعالى((وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) [2] .

---

[2] سورة يوسف ، الاية 76 .

قبل الحديث عن فكرة التاريخ عند العرب قبل الاسلام لا بد من الإشارة بشيء من الاختصار الى مفهوم التاريخ بشكل عام ، اذ تعددت رؤى المؤرخين للتاريخ واختلفت باختلاف الثقافات الانسانية ونظرتها للكون والحياة ، الا ان الآراء مهما تعددت في مفهوم التاريخ فانها لا تتعدى الانسان وفعله في البيئة التي يعيش فيها .

فالتاريخ عند الاقدمين "رواية احداث واحوال الماضي" [1] وهو عند بعض المؤرخين يحمل معنيين : "الاول بمعنى التاريخ العام ، أي تسجيل الحوادث عاماً عاماً وبمعنى الاخبار مرتبة بحسب العصور ، والثاني : بمعنى تحديد زمن وقوع الحوادث تحديداً دقيقاً " [2] .

ويعده آخرون عبارة ((عن الوصف الادبي لاي نشاط انساني ثابت سواء قام به الافراد ام الجماعات والذي يتجلى في تطور أي جماعة او فرد ويؤثر في تطورها)) [3] .

ولم يختلف العرب المسلمون في رؤيتهم للتاريخ عن غيرهم من حيث مجالاته فقد عدوه ((رواية اخبار العالم وما مضى من اكناف الزمان من اخبار الانبياء والملوك وسيرها والامم ومساكنها)) [4] .

ولم تتميز به عندهم امة من دون الامم اذ ((ليس امة من الشريعين وغيرهم ممن سلف وخلف الا ولها تأريخ ترجع اليه وتعول عليه في اكثر امورها ينقل ذلك خلف عن سلف وباق عن ماض اذ كان به تعرف الحوادث العظام ، والكوائن الجسام ، وما كان في الازمان الماضية

---

[1] ينظر : ريان ، د. رجائي : مدخل لدراسة التاريخ ، دار ابن رشد (عمان 1986) ، ص183.

[2] ينظر : جب ، هاملتون : علم التاريخ ، ترجمة ابراهيم خورشيد واخرون ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، 1981)، ص15-16 .

[3] روزنثال ، فرانز : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح احمد العلي ، مكتبة المثنى (بغداد ، 1963)، ص18-19 .

[4] المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط4 ، (مصر ، 1964) ج 1 ، ص12 .

والدهور الخالية ، ولولا ضبط ذلك وتقييده لانقطعت الاخبار ودرست الآثار وجهلت الانساب)) [5] .

ونكتفي بهذين النصين لتحديد الاطار العام لمفهوم التاريخ عند العرب المسلمين ، اذ انهما يدلان دلالة واضحة على عمق الرؤية العربية الاسلامية للتاريخ والقائمة على اساس الفعل الانساني بمجمل نشاطه واثره في البيئة التي يعيش فيها .

ولان التاريخ نتاج الفعل الانساني ونشاطاته فان الادب العربي في فترة ما قبل الاسلام كان تراثا فكريا زاخرا بالمكونات الاساسية للفكر العربي الاسلامي فيما بعد ، اذ لم يكن منفصلا عن التراث الانساني من حيث تكوينه فهو نتاج اجتماعي قائم على اسس عرقية وبيئية ودينية انعكست على مجمل الثقافة العربية في جزيرة العرب ذات الارتباط الاصيل بالحضارات التاريخية [6] ، فليس مما يعقل ان يبلغ الادب العربي في تلك المرحلة درجة عالية من الاستواء والنضج في بيئة فقيرة وهزيلة ثقافياً [7] .

تمثلت المكونات الاساسية للادب العربي في فترة ما قبل الاسلام بالشعر والخطابة والامثال ، فقد كانت لكلمات الجاهليين المكونة لاشعارهم وخطبهم ذات ارتباط بوجود الانسان العربي كقيمة ايجابية ، اذ مثلت ابداعات الفرد العربي في هذا الجانب قيمة اجتماعية عليا [8] وسنأتي على ذكر الشواهد الشعرية ، والخطب والامثال التي توضح اهمية الادب العربي فقد سجل بواكير الفكرة التاريخية للعرب قبل الاسلام .

---

[5] المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م) : التنبيه والاشراف ، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ، المكتبة التاريخية (القاهرة ، 1938) ، ص167 .

[6] ينظر : باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، مطبعة الحوادث (بغداد ، 1973) ج1 ، ص72؛ علي ، د. جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،دار العلم للملايين ، ط2 (بيروت 1978) ، ج1 ، ص16 .

[7] ينظر: اسماعيل ، د. عز الدين : المكونات الاولى للثقافة العربية ، مطبعة الاديب (بغداد ، 1971) ص10.

[8] ينظر: الصفدي، مطاع وايلي حاوي: موسوعة الشعر العربي، دار الشعب (بيروت،1971)،مجلد1،ص23.

الشعر :

اشار ابن سلام الجمحي الى اهمية الشعر عند العرب قبل الاسلام بقوله [9] : ((وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به ياخذون واليه يصيرون)) .

والديوان عند العرب مجتمع الصحف او الدفاتر [10] ، والحكم يعني العلم والفقه[11] . وهاتان الكلمتان لا تحتاجان الى كثير تعليق لبيان اهمية ماتكنان من التكوين التاريخي عند العرب قبل الاسلام .

ومما يذكره ابن سلام ايضا قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [12] : ((كان الشعر علم قول لم يكن لهم علم اصح منه)) .

وعن اهمية الشعر العربي قبل الاسلام في تناقل الرواية التاريخية يتحدث هاملتون جب فيقول [13] : ((الشعر هو الذي حافظ على تناقل الرواية وانتشارها ...)) .

وعن اهمية الشاعر في القبيلة يذكر فيليب حتي [14] : ان الشاعر كان مؤرخ القبيلة وعالمها فانه كان يعرف انسابها واخبارها القديمة ويقف على مآثر ما جاء به عظمائها .

هذا وقد حفلت ايام العرب [15] بكثير من القصائد التي تحمل كثيرا من الدلالات التاريخية عند العرب قبل الاسلام اذ مثلت في بعض دلالاتها صورة متقدمة للخبر التاريخي

---

[9] الجمحي، محمد بن سلام (ت 231هـ/845م): طبقات فحول الشعراء ، مطبعة المدني (السعودية، 1980) ج1 ، ص24 .

[10] ينظر : ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم الافريقي (ت 711هـ/1311م) : لسان العرب المحيط ، تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي (بيروت ، لا ت) ج1 ، ص1039 .

[11] ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج1 ، ص689 .

[12] الجمحي ، محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ج1 ، ص24 .

[13] جب ، هاملتون : علم التاريخ ، ص49 .

[14] ينظر : حتي ، فيليب : تاريخ العرب (مطول) ، دار الكشاف ، (بيروت ، 1952) ، ج1 ، ص130-131 .

[15] ينظر : ابو عبيده معمر بن المثنى (ت ، 211هـ/826م) : ايام العرب قبل الاسلام ، تحقيق عادل جاسم البياتي ، دار الجاحظ ، (بغداد ، 1976) ؛ جاد المولى ، محمد واخرون : ايام العرب في الجاهلية ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، 1961) .

وقد وصلت الى العصر الاسلامي عن طريق الراوية الشفوية [16] . حتى ان حاجي خليفة تناولها على انها فرع من فروع التاريخ [17] .

ومما نستدل به هنا من الابيات الشعرية التي تشير الى كنه الحوادث التاريخية عند العرب قبل الاسلام قول الحارث بن حلزة اليشكري [18] :

واذكروا حلف ذي المجاز وما

قدم فيه من العهود والكفلاء .

حذر الجور والتعدي وهل

ينقض ما في المهارق الاهواء .

والشاعر هنا يشير الى المكان الذي جمع فيه الملك النعمان بن المنذر بين قبيلتي (بكر وتغلب) واصلح بينهم واخذ منهم الوثائق والرهائن .

وكذلك قول عنترة العبسي [19] .

يخبرك من شهد الوقيعة انني

اغشى الوغى واعف عند المغنم

وهو بذلك البيت يتحدث عن الوقائع الحربية التي شارك فيها ودوره فيها .

ولطرفة بن العبد البكري بيت شعري فيه فكرة تاريخية واضحة تتمثل في اهمية توالي الايام في نقل المعلومة التاريخية اذ يقول [20] :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالاخبار من لم تزود

---

[16] ينظر : روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص96 .

[17] ينظر : حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ) : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، المكتبة الاسلامية (طهران ، 1967) ج1 ، ص204 .

[18] الحارث بن حلزة اليشكري : الديوان ، تحقيق هاشم الطعان ، مطبعة الارشاد (بغداد ، 1969) ، ص13 .

[19] عنترة بن شداد العبسي : الديوان ، شرح امين سعيد ، المطبعة العربية (مصر ، لات) ، ص126 .

[20] طرفة بن العبد البكري : الديوان ، تصحيح مكس سلفسون ، مطبعة برطرند (باريس ، 1900) ، ص44 .

فضلا عن اهتمام الشاعر العربي في تجسيد الحوادث والوقائع تجسيداً شعرياً فانه ارخ لنا كذلك ومن خلال قصائده ايضا ، اهتمام الانسان العربي بوجوده وبحثه عن المصير الذي ينتظره اذ ((كوَّن لنا اطارا شاملا للفعل الانساني في مختلف نواحي الحياة الانسانية شعوراً وواقعاً وفعلاً انسانياً على المكان الذي جسَّده الشاعر بوعيه متخذاً من وصفه للطبيعة وما تعلق من ذاكرة الشاعر قاعدة لحركة وانطلاق الانسان)) [21] .

ومما نستدل به ايضا من الشعر العربي قبل الاسلام قول زهير بن ابي سلمى[22] :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

واعلم ما في اليوم والامس قبلـه

ولكنني عن علم ما في غدٍ عم

ومن لم يصانع في امور كثيـرة

يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يضره ومن لا يتق الشتم يشتم

والشاعر هنا يستخدم مخيلته الشعرية والفلسفية الفائقة في تصوير رؤيته للوجود ، فهو يؤطر حديثه ويربط بين الماضي والحاضر والمستقبل وذلك هو الترابط الزمني الذي حددّ مفهوم التاريخ على مر العصور ، وهو ما يعني توالي الحوادث والخطوب عبر الازمنة ، كما ان الشاعر لا يكتفي بهذا الفهم للحياة بل نراه يدعو الى مبادئ في السياسة والاخلاق تجعله قادرا على التكيف مع مجتمعه وهو بذلك يجعل من التاريخ ((عملا ...

---

[21] الصفدي ، مطاع : موسوعة الشعر العربي ، ج1 ، ص9 .

[22] ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيي بن زيد (ت 275هـ/ 888م) : شرح ديوان زهير بن ابي سلمى (نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب) الدار القومية (مصر ، 1964) ص29–30 ؛ الزوزني : ابو عبد الله الحسين بن احمد (ت 480هـ/1087م) : شرح القصائد السبع ، عيسى البابي الحلبي ، ط3 (مصر ، 1959) ، ص87 .

لا بد منه لكل مجتمع بشري، فبدونه لا شعور باستمرار الوجود خلال الازمنة، وبدونه لا تستطيع مجموعة من الناس التعرف على شخصيتها ، ولا يتكون عندها وعي يجمع تراثا مشتركا جديرا بانتباه الناس)) [23].

وللشاعر المخضرم لبيد بن ربيعه العامري ابيات يصور لنا فيها اختلاف الناس في قوانينها التي تحدد اتجاهاتها وميولها وكذلك اشارته الى القدر ومدى تأثره بالرؤية الدينية التوحيدية اذ يقول [24] :

من معشر سنت لهم اباؤهم

ولكل قوم سنة وامامـها

لا يطبعون ولا يبور فعالهم

اذ لا يميل مع الهوى احلامها

فاقنع بما قسم المليك فانما

قسم الخلائق بيننا علامـها

فبنى لنا بيتاً رفيعا سمكه

فسعى اليه كهلها وغلامـها

وهذه الابيات لا تخلو من فكر تاريخي فهي تستلهم بناء الكعبة بيت الله الحرام ، واثر ذلك في توجه العرب من جميع انحاء الجزيرة العربية صوب الكعبة عند وقت الحج .

ومما نجده عند عمرو بن كلثوم التغلبي من ابيات معبرة عن براعة حسه الفكري الذي يتناول القدر والمصير قوله [25] :

وانا سوف تدركنا المنايا

---

[23] هورس، جوزف : قيمة التاريخ، ترجمة نسيب وهيبة الخازن، مكتبة الحياة (بيروت، 1964) ص15-16.

[24] الزوزني : شرح المعلقات السبع ، ص123-124 .

[25] الزوزني : شرح المعلقات السبع ، ص127.

مقدرة لنا ومقدرينا

وكذلك وعيه بالزمن الذي يؤطر وقع خطواته على مر الايام اذ يقول[26] :

وان غداً وان اليوم رهن

وبعد غدٍ بما لا تعلمينا

اما الشاعر عنترة بن شداد العبسي الذي عرف بكونه محاربا لم يرتبط بمعرفتنا عنه اكثر من مقدرته الحربية التي عبر عنها بلغة شعرية رائعة ، نجده ايضا متقدما في جانب من اهم جوانب الرقي الفكري وهو المعرفة والحوار والجدل فنجده يتحدث عن ذلك بوضوح تام اذ يقول [27] :

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى

ولكان لو علم الكلام مكلمي

وللمهلهل بن ربيعه بيت شعري يمثل رؤية علمية متقدمة في الوعي بالزمن اذ يقول [28] :

ولست بخالع درعي وسيفي

الى ان يخلع الليل النهار

ووعيه هنا يتمثل في رؤيته الشعرية في استلهام موضوعة تداخل الليل والنهار وحكمة الله تعالى في ذلك التعاقب والتداخل ونختم استشهادنا بالشعر دليلاً على الفكر التاريخي عند العرب قبل الاسلام الابيات الاتية للشاعر الافوه الاودي [29] :

والبيت لا يبتنى الا له عمد

ولا عماد ، اذ لم تُرْس اوتاد

---

[26] الزوزني : شرح المعلقات السبع ، ص128 .

[27] عنترة بن شداد العبسي : الديوان ، تحقيق فوزي عطيوي ، الشركة اللبنانية للكتاب (بيروت ، 1968) ، ص18 .

[28] الصفدي : موسوعة الشعر العربي ، ج1 ، ص381-382 .

[29] القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت 356هـ/966م) : امالي القالي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر ، 1975) ج2 ، ص249-250 .

فان تجمع اوتـاد واعمـدة

وساكن ، بلغوا الامر الذي كادوا

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سـادوا

تُهدى الامور باهل الراي ما صلحت

فإن تولت ، فبالاشرار تنقاد

اذا تولى سراة النـاس امرهم

نما على ذلك امر القوم فإزدادوا

فينا معاشر لم يبغوا لقومهم

وان بنى قومهم ما افسدوا عادوا

لا يرشدون ، ولن يرعوا لمرشدهم

والجهل فيهم ، معاً والغي ميعادُ

اضحوا كقيل بن عمرو في عشيرته

اذ اهلكت بالذي سدّى لها عـادُ

او بعده كقدار حين تابعـه

على الغوايـة اقوام فقد بـادوا

ان الشاعر هنا يقدم لنا مفهوماً تاريخيا يقوم على الاعتبار والعظة بما حل بالاقوام السالفة بعد ان يقدم رؤية تقوم على تحديد معالم السعادة في بناء المجتمعات تتمثل بالاخلاق فهو هنا يتحدث عن انسان ومكان وزمان .

وهنا يمكن القول بانه ((ما من وصف توصف به احوال الناس الا ويمكن ان يوصف به التاريخ ... وبعبارة اخرى ان نطاق التاريخ يتسع لجميع الصوالح البشرية ، فكل ما يقع من الانسان او يقع عليه ، وكل ما يبنيه او يهدمه ، داخل في حدود البحث التاريخي)) [30] .

---

[30] هر نشو ، ج : علم التاريخ ،ترجمة عبد الحميد العبادي ، دار الحداثة (بيروت ، لا ت) ، ص17-18 .

الخطابة :

لم تكن الخطابة ادباً طارئا على تراث العرب الفكري بل كان للبيئة الصحراوية صورها الخاصة بها ... صورها التي يرسمها الواقع وتلونها طبيعة الصحراء ، وكانت طبيعة جزيرة العرب اخصب مرتع للشعراء والخطباء يسيمون فيها الفكر فتلتقط الحواس ما تراه ملائماً لما تريد التعبير عنه [31] .

ومن صفاء الطبيعة الصحراوية البدوية التي صقلت الذهن ومن ثم صقلت اللسان واللغة التي جعلت فن الخطابة يصل الى قمة السمو والرفعة في التعبير عن خلجات الانسان العربي فالاعم الاغلب من الخطب التي نقلتها لنا المصادر الاسلامية [32] ، عن عصر ما قبل الاسلام كانت معبرة عن احاسيس الجاهليين في الوجود وما يمثل ذلك في اقوالهم وفي بحثهم عن المصير المجهول الذي ارتبط عندهم بالادراك المادي من خلال البحث والتحري عن اراض صالحة للعيش في طبيعت الارض الواسعة والصحراوية منها بالذات [33] ، وصولا الى المصير ذلك المجهول الذي ينتظرهم بعد الموت ، وكذلك حياة الانسان وتأثره ببيئته وتأثيره فيها .

ونجد عند دراسة المصادر الاسلامية التي نقلت لنا كثيرا من خطب العرب قبل الاسلام ان اغلب هؤلاء كانوا يؤدون دورا في الحكم بين الناس في مشاكلهم فقد كان الحكيم يجمع بين

---

(31) ينظر : الاطرقجي ، واجدة مجيد : التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، منشورات وزارة الثقافة والفنون (بغداد ، 1978) ، ص58 .

(32) ينظر : السجستاني ، ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان البصري (ت 235هـ/849م) : كتاب المعمرين من العرب وطرف من اخبارهم وما قالوه في منتهى اعمارهم، مطبعة السعادة (مصر،1905) ص5، 36،24 ؛ الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت حوالي 255هـ/868م) : البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبي ، دار الفكر (بيروت ، لات) ج1 ، ص66–76 ؛ اليعقوبي ، احمد بن واضح (292هـ/904م) : تاريخ اليعقوبي ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية (بيروت 1999) ج1 ، ص220 ؛ المسعودي ؛ مروج الذهب، ج1 ، ص69 .

(33) ينظر : محمد ، د. فاضل زكي : الفكر السياسي العربي بين ماضيه وحاضرة ، دار الحرية (بغداد ، 1976) ص21 .

عمل القاضي والمشرع والكاهن والطبيب والمنجم [34] ، وكان هؤلاء من ((اهل الشرف والصدق والامانة والرئاسة والسن والمجد والخبرة)) [35] .

ومما يتقدم يتوضح لنا بأن هؤلاء كانوا يتمتعون بثقافة جامعة لشتى انواع المعرفة [36] . ومما نستشهد به هنا في مجال البحث خطبة قُس بن ساعده الايادي في عكاظ التي وثُقت لنا بسؤال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عنها عند لقائه وفد بكر ابن وائل عن معرفتهم بقُس بن ساعده الايادي وذكره لمشاهدته اياه في عكاظ وهو يخطب على جمل احمر [37] .

وفيما ياتي نص الخطبة: ((أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا كل من عاش مات وكل من مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبراً وان في الارض لعبراً مهاد موضوع وسقف مرفوع وبحار تموج وتجارة تروج وليل داج وسماء ذات ابراج أقسم قس حقا لئن كان في الارض رضا ليكونن بعده سخط وان لله عزت قدرته ديناً هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه مالي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا فاقاموا ام تركوا فناموا .

وله شعر انشده ابو بكر الصديق رضي الله عنه حينها جاء فيه :

الذاهبين الاولين من ... القرون لنا بصائـر

لما رأيت مـوارداً ... للموت ليس لها مصـادر

ورأيت قومي نحوها ... يسعى الأصاغر والأكابر

لا يرجع الماضي الى ... ولا من الباقين غابـر

---

[34] عابدين ، عبد المجيد : الامثال في النثر العربي القديم ... ، دار المعرفة الجامعية (مصر،1989) ، ص130.

[35] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص220 .

[36] عابدين ، عبد المجيد : الامثال في النثر العربي القديم ، ص130 .

[37] ينظر : المفضل الضبي (ت نحو 178هـ/794م) : امثال العرب ، مطبعة الحوادث (القسطنطينية 1300هـ) ، ص45–46 ؛ السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص77 ؛ الجاحظ : البيان التبيين، ج1 ، ص324–325 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص69 .

ايقنت اني لا محا   لة حيث صار القوم صائر)) [38] .

وهو القائل ايضا ((يا معشر اياد ، اين ثمود وعاد ، واين الاباء والاجداد ، اين المعروف الذي لم يشكر ، والظلم الذي لم يذكر ، اقسم قس بالله ان لله دينا هو ارضى له من دينكم هذا)) [39] .

ان هذه الاقوال تجسد لنا تفتح العقل العربي قبل الاسلام على استلهام ما حوله والاعتبار بما مضى من الاقوام وما مضى من الافعال ، محاولة منه لابصار عقول الآخرين بحقائق الوجود والقدر والاخلاق والمصير ومن خلال تعاقب الحوادث والخطوب وتعاقب المعروف والظلم .

وممن اشتهر من خطباء العرب قبل الاسلام اكثم بن صيفي [40] ، وعامر بن الضرب العدواني [41] ، والربيع بن ضبع الفزاري [42] ، وزهير بن جناب [43] ، وذو الاصبع العدواني [44] .

ومما يجدر بنا الاستشهاد به هنا بعض اقوال اكثم بن صيفي التي لم تكن بمضمونها الا فكرا يبحث في مادة التاريخ وغايته ومن ذلك قوله [45] : ((انّ أهل هذه الدار سفر لا يحلون عُقَدَ الرِّحال الا في غيرها ، وقد اتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع اليك، واقام معك من سيظعن عنك ويدعك ، واعلم ان الدنيا ثلاثة ايام ، فأمس عظة ، وشاهد عدل فجعك بنفسه ، وابقى لك وعليك حكمه واليوم غنيمة ، وصديق اتاك طالت

---

[38] ينظر : الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت 518هـ/1124م) : مجمع الامثال (مصر ، 1352هـ) ج1 ، ص117-118 .

[39] الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 ، ص355.

[40] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص220 ، الميداني : مجمع الامثال ، ج1 ، ص41 .

[41] ينظر: السجستاني: كتاب المعمرين من العرب ، ص36-54 ؛ الميداني : مجمع الامثال ، ج1 ، ص41.

[42] ينظر : السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص5-6 .

[43] ينظر : السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص 24-29 .

[44] ينظر : الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت 436هـ/1044م) : الامالي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، ط2 (بيروت ، 1976) ج1 ، ص246 .

[45] ينظر : السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص9-20 .

غيبته وستسرع عنك رحلته ، وغد لا تدري من أهله ، وسيأتيك ان وجدك ، فما احسن الشكر للمنعم ، والتسليم للقادر، وقد مضت لنا اصول نحن فروعها . فما بقاء الفروع بعد اصولها ، واعلم ان اعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه وشر من الشر فاعلة)) .

وقارئ هذه الخطبة يجد فيها اشارات زمانية تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل معتبرة الماضي عبره للحاضر والمستقبل .

الامثـال :

لم يكن المثل شأنه شأن سائر فنون الادب الا تصويراً لنزعات الناس وعاداتهم في التفكير والتعبير والجد واللهو ، فهو نابع من صميم البيئة ومرأة عاكسه لاحوال المجتمع [46] .

ومثلما كان المثل العربي قبل الاسلام ذا اثر واضح في نقل المعلومة التاريخية فقد عبر عن تساؤلات الانسان العربي آنذاك عن مغزى وجوده على الارض ومحاولات بحثه عن دوره في الحياة التي يعيش فيها ، وسجلا للشؤون الحياتية لمجتمع ما قبل الاسلام .

ان كثيراً من الامثال العربية حفلت باشارات مهمة بالمسلمات الاساسية للفكر التاريخي بلغة العصر ولكنها جاءت عفوية بلغة عربية بليغة تحيط بالمعنى وبإيجاز واضح على افواه الشعراء والخطباء من اهل الحكمة او من سائر الناس لتكون معبرة عما يجول بأذهانهم ولتكون امثالا تتناقل عبر الشفاه محددة سلوكاً اجتماعياً عاماً [47] .

((ويمكن عد الامثال من بقايا اقدم النثر العربي ، لما يبدو من ان بعضها كان سائراً مشهوراً في الجاهلية وكثيرا ما تشير هذه الامثال الى احداث ووقائع معينة حصلت قديماً ولكنها انطوت في زوايا النسيان)) [48] .

لقد نقلت لنا الامثال العربية من جملة ما نقلت اهتمام العرب القدماء بالعقل فهو لم يكن مصدر معرفة وحسب بل هو جزء من الممارسة العملية كحكمة وتروٍّ، وهو تفكير وحقيقة [49] .

---

[46] ينظر : عابدين ، عبد المجيد : الامثال في النثر العربي ، ص67 .

[47] ينظر : عابدين ، عبد المجيد : الامثال في النثر العربي ، ص132 .

[48] بروكلمان ، كارل : تاريخ الادب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف (مصر ، لا ت) ج1 ، ص129 .

[49] ينظر : غرانجة ، كارستون : العقل ، ترجمة هنري زغيب ، المنشورات الغربية ، مؤسسة نوفل (بيروت ، 1988م) ص12 .

وعن اهمية الفكر في التفكر باحوال الدنيا مادية كانت او روحية وحصر ذلك بالعقل وقدرته على التمييز والتدبر والتفكر نشير الى المثل الاتي : ((استراح من لا عقل له)) [50] .

وفي معنى هذا المثل ينقل لنا الانباري رأي اهل اللغة اذ يقول على لسانهم [51] : ((وفيه قولان : احدهما ان المقصود بهذا هو الاحمق اذ كان يصرف همه الى المأكول والمشروب والمنكوح ، فاذا استقام له ذلك لم يفكر في عاقبة ، فعيشه رغد وباله رخيّ ، والعاقل ليس كذلك لتفكره في العواقب ، واهتمامه بالحوادث والنوازل وشبيه بهذا قولهم هم الدنيا على العاقل ...)) .

وما هو هم الدنيا ؟ الم يكن – مما تقدم – التفكر والتدبر في احوالها من الوجود والقدر والمصير واحوال الانسان .. الم يكن تأثراً وتأثيراً فيها ، او ليس هذه المسميات وغيرها هي التي اصبحت فيما بعد المصطلحات التي وضع اهل التاريخ على اساسها دراساتهم التاريخية .

ومن حكم اكثم بن صيفي التي ذهبت امثالا في هذا الاتجاه وفي غيره قوله [52] : ((العدم عدم العقل لا عدم المال ... وآفة الرأي الهوى ... والدنيا دول ، فما كان لك اتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ... وعامة العقل الحلم)) .

((ان دراستنا للعقل في العصر الجاهلي تاتي من باب اعتبار البعض من فلاسفة الغرب في العصر الحديث ان العقل وراء تطور التاريخ)) [53] .

ومن امثال العرب التي تؤكد على جانب اخر من جوانب الفكر التاريخي الا وهو التوثيق واهميته في حفظ المعلومة ودليلاً على معرفتهم واطلاعهم على الكتابات القديمة قولهم :

---

[50] الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ/939م) : الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، دار الرشيد (بغداد ، 1979) ج2 ، ص116 .

[51] الانباري : الزاهر ، ج2 ، ص166 .

[52] الميداني : مجمع الامثال ج2 ، ص131 .

[53] الدوري ، عبد العزيز واخرون : تفسير التاريخ ،مطبعة الارشاد (بغداد ، لا ت) ص5 .

((ابقى من وحي في حجر)) [54] اذ ان الوحي عندهم ياتي بمعنى الكتابة والمكتوب [55] .

ومن امثال العرب التي تحمل في معانيها دلالات تاريخية المثل الاتي : ((اشأم من ناقة البسوس)) [56] ، في اشارة الى حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب وكان فيها مصدر الخلاف ناقة البسوس عمه جساس بن مرة سيد بكر .

ومن الامثال التي كانت عناوين لحوادث وخطوب تاريخية عند العرب قبل الاسلام المثل الاتي :((أشأم من داحس)) [57] في اشارة لمعارك عبس وذبيان التي كانت فيها الحرب اربعون سنة حفلت بالوقائع والاحداث والقصائد الشعرية والخطب التي خلدت لنا هذه الوقائع واحداثها .

ومن الامثال العربية قبل الاسلام التي خلدت لنا واقعة تاريخية مهمة من وقائع العرب المثل الاتي :

((ما يوم حليمة بسر)) [58] وحليمة هي بنت الحارث بن ابي شمر وكان ابوها وجه جيشاً الى المنذر بن ماء السماء فاخرجت لهم طيباً من مركن فطيبتهم ويعد هذا اليوم من اشهر ايام العرب [59] .

---

[54] الميداني : مجمع الامثال ، ج1 ، ص124 .

[55] ينظر : الميداني : مجمع الامثال ،ج1 ، ص124 .

[56] ينظر : المفضل الضبي : امثال العرب ، ص56 .

[57] ينظر : المفضل الضبي : امثال العرب ، ص44 .

[58] الميداني : مجمع الامثال ، ج2 ، ص226 .

[59] ينظر : الميداني : مجمع الامثال ، ج2 ، ص226-227 .

تعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية ، فمنها الخوف من الموت ، ومنها كذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة ، او الاحداث التي ليس في مقدور الانسان فهمها [60] ، كذلك فانها نشأت بالاساس عن فطرة الانسان بما فيها من تساؤل لا ينقطع وخوف وقلق وامل وشعور بالعزلة [61] .

ولما كان الفكر يحاول الوصول الى حقائق الاشياء من خلال الادراك لذا فقد كان ((على العاقل ان يسلك سبيل السعادة وليست السعادة مقصورة على الدنيا)) [62] .

ولما كان العرب ذوي فطره سليمة فقد كان للقوى القدسية دور ذو تأثير بارز في بناء الفكر العربي قبل الاسلام [63] .

فقد كان الدين ومن خلال الثواب والعقاب يدفع الانسان للبحث في الماضي والنظر الى المستقبل القريب والبعيد لذلك اتجه الانسان الى معرفة الحوادث ومردوداتها وذلك هو الذي ادى الى تكون فكرة التاريخ والبحث في الماضي من اجل المستقبل .

لقد انتشرت الوثنية في جزيرة العرب الى جانب الاحناف – الموحدين – اتباع نبي الله ابراهيم عليه السلام ، والذين كانوا امتداداً طبيعياً لوجود هذه الديانة في جزيرة العرب منذ ان بعث الله نبيه ابراهيم عليه السلام .

ويعد وجود هؤلاء الاتباع في هذه المنطقة بحد ذاته دليلا على ان امة العرب لم تنقطع تاريخيا عن الاصول الحضارية الاولى في الجزيرة والتي كانت المركز الذي انطلقت منه الهجرات الى وادي الرافدين ووادي النيل [64] ، ودليلا اخراً على اهمية الفكر التاريخي عند

---

[60] ينظر : ديوارنت ، ول : قصة الحضارة ، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، 1949) ج1 ، ص100 .

[61] ينظر : ديوارنت ، ول : قصة الحضارة ، ج1 ، ص117 .

[62] الغزالي ، محمد بن احمد (ت 505هـ/1111م) : المنقذ من الضلال ، تحقيق د. جميل صليبا وكامل عياد، دار الاندلس (بغداد ، لا ت) ص29 .

[63] ينظر : محمد ، د. فاضل زكي : الفكر السياسي العربي بين ماضيه وحاضره ، ص23 .

[64] ينظر : باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1 ، ص65 .

العرب قبل الاسلام اذ ان عدم التدوين بصورة واسعة في ذلك العصر لا يعد دليلا على عدم وجود الفكر التاريخي عندهم .

ومن المعتقدات الدينية الاخرى في جزيرة العرب اعتقاد بعضهم وايمانهم بوجود الخالق وتكذيبهم للرسل والبعث وقد اطلق على هؤلاء تسمية الدهريين الذين انكروا وجود الخالق فيما بعد وعزوا افعاله الى الدهر .

وفضلا عن ذلك فقد اعتنق بعض العرب اليهودية والمسيحية ، الا اننا سنحاول في هذا المبحث تناول الوثنية والحنيفية والدهريين لبيان عجز الوثنية عن حل مشكلات الناس مما دفع البعض الى عدم الاكتراث بها والى الاندفاع نحو الموحدين .

وكان هذا الصراع تمهيداً من الله سبحانه وتعالى لبعث ديانة التوحيد من جديد ومحاربة الشرك من خلال الدعوة للاله الواحد والقيم الانسانية في ((دورة تاريخية ينتصر فيها خطاب العقل ومنطق المعقول)) [65] .

---

[65] زيادة، د. معن : معالم على طريق تحديث الفكر العربي ، سلسلة عالم المعرفة (الكويت،1987) ص100.

الوثنيـة [66] :

هي عبادة الاصنام وان اصلها في جزيرة العرب يعود الى عمرو بن لحي الذي غير دين ابراهيم عليه السلام وبدله وبعث العرب على عبادة التماثيل حين خرج الى الشام ورأى قوما يعبدون الاصنام ، فأعطوه منها صنماً فنصبه على الكعبة [67] .

وفي ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية [68] :

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام

سائل بعاد اين هم وكذلك تخترم الانام

وبني العماليق الذين لهم بها كان السّوام

وهذا الرد المتمثل بالشعر على فعلت عمرو بن لحي الوثنية لا يخلو من اشارات تاريخية تتأسى وتعتبر بالاقوام السابقة وما حل بها .

((ولما اكثر عمرو بن لحي من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها وانمحت الحنيفية منهم الا لمعاً ، قال في ذلك شحنة بن خلف الجرهمي)) [69] :

يا عمرو انك قد أحدثت الهة

شتى بمكة حول البيت انصابا

وكان للبيت رب واحد ابدا

فقد جعلت له في الناس اربابا

---

[66] ينظر : ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ/819م) الاصنام ، تحقيق احمد زكي (القاهرة،1914) ص6-9 ، 53 ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص217 ؛ الصولي ، ابو بكر محمد بن عيسى (ت 336هـ/974م) : ادب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الاثري (القاهرة ، 1341هـ) ص214 ؛ المسعودي : مروج الذهب ،ج2 ، ص126 ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ/1200م) : تلبيس ابليس ، دار الكتب العلمية ، ط2 (بيروت ، 1368هـ) ص53-61 .

[67] ينظر : السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص36 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص56 .

[68] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص56-57 .

[69] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص56-57 .

لتعرفن بان الله في مهل

سيصطفي دونكم للبيت حجابا

وهذه الابيات تشير اشارة واضحة الى ان ديانة التوحيد كانت معروفة وسائدة عند بعض قبائل العرب في الجزيرة العربية ومما يؤيد ذلك اشارة المسعودي الى عدم خلو جزيرة العرب من الموحدين قبل الاسلام اذ يقول [70] :

((كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الفترة جماعة من اهل التوحيد، ممن يُقرُّ بالبعث ...)) .

وعمرو بن لحي اول من وصل الوصيلة [71] وسيب السائبة [72] وحمى الحام [73] ...))[74].

وقد كان العرب في الجاهلية قليلي المبالاة باصنامهم فهم اذا جاعوا أكلوا اصنامهم اذا كانت من التمر حيناً ويستهزؤن بها حيناً آخر ومن ذلك قول غاوي بن عبد العزى حين رأى ثعلباً يبول على صنم :

أربٌ يبول الثعلبان برأسه

لقد ذل من بالت عليه الثعالب [75] .

---

[70] المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص65 .

[71] الوصيلة : الشاه تلد سبعة ابطن فاذا كان السابع ذكر او انثى قالوا وصلت اخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك بها الرجال والنساء . ينظر : ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص64 .

[72] السائبة : من الانعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهرا ولا يحلبون لها لبناً . ينظر : ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص64 .

[73] الحام : الفحل ينتج من ظهره عشرة ابطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لاصنامهم لا يحمل عليه . ينظر : ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص64 .

[74] ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص55 .

[75] ينظر : الميداني : مجمع الامثال ، ج2 ، ص181 ، فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ط3 (بيروت ، 1972) ص159 .

وقد اشار الله سبحانه في محكم كتابة القرآن الكريم الى الشرك في كثير من الايات القرآنية منها قوله جل وعلا :

((قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)) [76] .

((أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)) [77] .

وقوله جلّ من قال :

((أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ)) [78] . وقوله تعالى :

((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ))[79] .

وقوله جل وعلا :

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)) [80]

وقوله جل في علاه :

((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) [81] .

---

[76] سورة يونس ، الاية 34 .

[77] سورة الزمر ، الاية 3 .

[78] سورة الزمر ، الاية 43 .

[79] سورة الانعام ، الاية 22 .

[80] سورة التوبة ، الاية 28 .

[81] سورة يونس ، الاية 18 .

الحنيفيـة [82] :

يعد الاحناف من قدامى الموحدين في جزيرة العرب والحنفاء هم ((الابراهيمية الذين امنوا بابراهيم عليه السلام و حملوا عنه الصحف التي انز لها الله عليه)) [83] . و ((الحنيف في الجاهلية من كان على دين ابراهيم ، ثم سمي من اختتن وحج البيت حنيفاً لما تناسخت السنون وبقي من يعبد الاوثان من العرب وقالوا : نحن حنفاء على دين ابراهيم ولم يتمسكوا منه الا بحج البيت والختان)) [84] .

ويشير اليعقوبي اليهم بقوله [85] :

((فكانت قريش وعامه ولد معد بن عدنان على بعض دين ابراهيم ، يحجون البيت، ويقيمون المناسك ، ويقرون الضيف ويعظمون الاشهر الحرم ، وينكرون الفواحش ، والتقاطع ، والتظالم ويعاقبون على الجرائم ، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت)) .

وقد اشار اليهم المسعودي عندما تحدث عن اديان العرب قبل الإسلام بقوله [86] :

((منهم الموحد المقر بخالقه ، المصدق بالبعث والنشور موقناً بان الله يثيب المطيع، ويعاقب العاصي)) .

ويرى جواد علي [87] : ((ان الحنفاء افراد لا تجمعهم رابطة غير اتفاق بعض افكارهم .. مثل رفض الاصنام والدعوة الى الاصلاح .. وانهم لم يكونوا طائفة معينة تسير على شرع ثابت)) .

---

[82] ينظر : ابو عبيدة : معمر بن المثنى (ت 211هـ/826م) : مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة (مصر ، 1954) ج1 ، ص58 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ،ص126 ؛ ابن النديم ، محمد بن اسحاق الوراق (ت حوالي 385هـ/999م) : الفهرست (القاهرة ، لا ت) ص38 .

[83] ابن النديم : الفهرست ، ص38 .

[84] ابو عبيدة : مجاز القرآن ، ج1 ، ص58 .

[85] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص217 .

[86] المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ص126 .

[87] علي ، د. جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج6 ، ص34 .

بينما يحدثنا عمر فروخ عن الحنيفية بوصفهم [88] : ((نفراً من الورعين الذين سلكوا مسلكا دينيا عاقلا ومسلكا اخلاقيا حميدا ودعوا من حولهم الى هجر الاوثان وترك مساؤي الجاهلية من الخمر والميسر والثأر ووأد البنات)) .

الا ان هنالك رواية لليعقوبي عن حلف الاحابيش بين عبد مناف بن قصي وخزاعة وبني الحارث بن عبد مناة تشير الى ان المتحالفين لم يقسموا باي من الاصنام بل اقسموا بالله وحرمه البيت [89] .

وفي هذا دليل على ان الموحدين لم يكونوا افراداً في مجتمع شبه جزيرة العرب اضافة لذلك فان استشهاد الشعراء والخطباء العرب قبل الاسلام في اشعارهم وخطبهم بذكر الله وكونه المتحكم بمصائرهم كما سيأتي ذكره وازدراءهم باصنامهم .. ان ذلك يعطينا دليلا على ان الوحدانية ذات اثر في تنمية الفكر التاريخي ومحاولاتهم توجيه المجتمع والدعوة للاعتبار بما حلّ بالاقوام السالفة والمدن العامرة ، بعد الاقرار بوحدانية رب البيت سبحانه وتعالى ومن ذلك قول لبيد بن ربيعه العامري [90] :

فاقنع بما قسم المليك فانما

قسم الخلائق بيننا علامها

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكة

فسما اليه كهلها وغلامها

وكذلك قول عبيد بن الابرص الاسدي [91] :

والله ليس له شريك

علام ما اخفت القلوب

وقول الحارث بن حلزة اليشكري [92] :

---

[88] فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي .. ، ص158 .

[89] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص206 .

[90] الجبوري ، د. يحيى : لبيد بن ربيعه العامري ،مكتبة الاندلس (بغداد ، 1970) ص343 ؛ الزوزني : شرح المعلقات السبع ، ص124 .

[91] الزوزني : شرح المعلقات السبع ، ص209 .

[92] الحارث بن حلزة اليشكري : الديوان ، ص13 .

ام علينا جرى اياد كما

قيل لطسم اخوكم الاباء

واهم ما نذكره هنا عن الحنيفية قول الله جل وعلا :

((فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [93] .

وقوله تعالى :

((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [94] .

وقوله جل من قال :

((قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [95] .

وقوله تعالى :

((وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)) [96] .

ان سلوك بعض الذين رفضوا الوثنية وتأثروا بالوحدانية يبين لنا مدى اثر الوحدانية في تنمية الفكر التاريخي عند العرب قبل الاسلام . وممن نشير اليه هنا ، زيد بن عمرو ابن نفيل[97] . الذي شك في الاوثان ورحل يطلب دين ابراهيم عليه السلام ، وقد كان شكه نتيجة لسفاهتها ، وقد أذاه سفهاء مكة ، فسكن كهفاً بحراء وسار الى الشام ورحل صوب الجزيرة نحو الموصل[98]، وذلك لم يكن ثراء فكريا في ذلك الزمان بل كان حاجة انسانية تبحث عن فكر

---

[93] سورة ال عمران ، الاية 95 .

[94] سورة النحل ، الاية 120 .

[95] سورة الانعام ، الاية 161 .

[96] سورة النساء ، الاية 125 .

[97] ينظر : ابن هشام ، عبد الملك المعافري (ت 218هـ/833م) : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا واخرون ، دار احياء التراث العربي ، ط3 (بيروت ، 2000) ج1 ، ص259-261 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص70 .

[98] ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ج1 ، ص267-268 .

ارقى من الوعي الذي يجده في مجتمعه ... فكر يبحث عن ماضي الزمان في اماكن هاجر منها وخلالها نبي الله ابراهيم عليها السلام .

لقد كانت رحلة زيد بن عمرو بن نفيل فعلا تاريخيا بأثر من فكر تاريخي يبين لنا ويوثق بان نبي الله ابراهيم عليه السلام كان معروفا عند عرب الجزيرة بانه حامل لواء الدين الحنيف رغم تبدل الازمان .

ومن الموحدين ايضاً ((ابو قيس صرمه بن ابي انس من (الانصار) من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح ، وهجر الاوثان ودخل بيتاً ، واتخذه مسجداً لا تدخله طامث ولا جنب وقال : اعبد ربّ ابراهيم ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم وحسن اسلامه))[99] .

ان هذه الرواية تعطينا بعدا تاريخياً من خلال الربط بين ديانة ابراهيم عليه السلام والاسلام الحنيف اذ ان هذا الموحد قد تخلق بخلق نبي الله ابراهيم عليه السلام وتعاليم دينه التي جاء الاسلام على هديها وما اكد ذلك انتمائه للدين الاسلامي الحنيف [100] .

ومنهم امية بن ابي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام ، فتلقاه اهل الكنائس من اليهود النصارى ، وقرأ الكتب ، وكان قد علم ان نبياً يبعث من العرب ، وكان يقول اشعارا عن اراء اهل الديانة يصف فيها السماوات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث (النشور) والجنة والنار ، ويعظم الله عز وجل ويوحده ومن ذلك قوله : الحمد لله ، لا شريك له، من لم يقلها فنفسه ظلما ... ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ لذلك وتأسف ، وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد ، فرجع الى الطائف [101] .

---

[99] المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص74 .

[100] ينظر : ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف النمري القرطبي (ت 463هـ/1070م) : الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، بهامش كتاب الاصابة في تمييز الصحابة ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، 1328هـ) ج2 ، ص202 ؛ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت 852هـ/1448م) : الاصابة في تميز الصحابة ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، 1328هـ) ج2 ، ص182–183 .

[101] ينظر : المسعودي / مروج الذهب ، ج1 ، ص70–71 .

ومما نستدله من هذه الرواية ان امية بن ابي الصلت استفاد من تجارته وإطلاعه على المعلومات التي وجدها في كتب اليهود والنصارى الا انه اثر ان يكون موحدا ، وفي ذلك كله فكر تاريخي واضح .

((وفي الحجاز قام عدد من الحكماء في الجاهلية ، منهم امية بن عوف الكناني ، وكان من الحنيفية ويدعو الى ترك الالهة والتمسك باله واحد ، وكان يعض العرب في فناء البيت ...)) [102] .

ومن حكماء العرب اكثم بن صيفي الذي سمع بظهور الدين الجديد – الاسلام – وداعيته وحامل لوائه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم . فما كان منه الا حث ابناء قومه– المشركين – على اتباع الدين الجديد الذي حُدِّث به من قبل [103] ، ودعا الى اتباعه فان كان ديناً سماوياً فقد فاز القوم ، وان كانت الدعوة بشرية فهي تقوم على اسس اخلاقية احرى بالقوم اتباع داعيتها [104] .

ومن ذلك نجد رؤية ناقدة للوضع الاجتماعي الذي كان سائدا تقوم على رؤية تاريخية احيطت بما كان لدى اكثم بن صيفي من معلومات تاريخية نستدل عليها عند قراءة خطبه وامثاله كما مرّ بنا .

((وممن كان يقر بالخالق والابتداء والاعادة والثواب والعقاب عبد المطلب بن هاشم، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعده ، وعامر بن الضرب)) [105] .

وكان بعض من العرب يؤمنون بالحشر فاذا حضر احدهم الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتي حتى أحشر عليها ، فاذا لم تفعلوا حشرت على رجلي . قال خزيمة بن الاشج في الجاهلية – وحضره الموت – يوصي ابنه سعدا :

---

[102] ينظر : السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص100–101 .

[103] ينظر : السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص67–78 ؛ الميداني : مجمع الامثال ، ج2 ، ص367؛ مال الله ، علي محسن : اكثم بن صيفي ، حياته ، خطبه ، امثاله ، شعره ، مطبعة الرشاد (بغداد ، 1989) ، ص76 .

[104] ينظر : السجستاني : كتاب المعمرين من العرب ، ص9–20 .

[105] ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص63–64 .

يا سعد اما اهلكن فانني

اوصيك – ان اخا الوصاة الاقرب

لا تتركن اباك يعثر راجلا

في الحشر يصرع لليدين وينكب

واحمل اباك على بعير صالح

ولا تقي الخطية ، انه هو اقرب [106] .

والملاحظ هنا وجود رؤية تختلف عما لدى المصريين القدماء الذين كانوا يعتقدون ان الآخرة استمرار للحياة الدنيا ، اذ كانوا يدفنون معهم معظم امتعتهم ، ولكن الشاعر الجاهلي هنا يتحدث عن المصير الذي ينتظره ويعتقد انه ذو طريق طويل لا تعينه ارجله على الوصول الى نهايته فهو لذلك بحاجة الى راحلته .

---

[106] ينظر : فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص163 نقلا عن صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، ص44؛ ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص64 ، اذ يشير ابن الجوزي الى ان بعض العرب كانت تربط الناقة على قبر الميت حتى تموت ليحشر عليها .

الدهريون [107] :

وهم الذين قالوا انه ((لا اله ولا صانع وان هذه الاشياء كانت بلا مكون)) [108] .

اشار الخوارزمي [109] الى انهم يقولون بقدم الدهر الا انه يرى بانهم عبدة اوثان وانهم من اصحاب التناسخ ويرجع اصل وجودهم الى الصابئين والحرنانيين وبقاياهم في حران والعراق – في زمانه – .

وقد ("روي عن النبي صلى الله عليه واله " انه قال : لا تسبوا الدهر ، فان الدهر هو الله) وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر ، فانه لا فعل له ، وان الله مصرفه ومدبره ، فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال (هو الدهر) وفي هذا الخبر وجه هو احسن من ذلك الذي حكيناه ، وهو ان الملحدين ، ومن نفى الصانع جلت عظمته ، يذمون الدهر ويسبونه في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم النبي صلى الله عليه واله وسلم عن ذلك وقال لهم :

لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون انه هو الدهر ، فان الله تعالى هو الفاعل لها – وانما قال : ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر ، افعال الله [110] .

ومما تقدم نجد ان الدهريين قوم مالوا عن طريق الوحدانية بعد ان كذبوا الرسل والبعث وامسوا ملاحدة اذ اعتقدوا بان الدهر من حيث كونه توالي الازمنة هو الذي يتحكم بمصائرهم وليس الله تعالى الذي هو موجد الدهر والمتحكم فيه ، ومن ذلك قول لبيد [111] :

---

[107] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص126 ؛ الخوارزمي ، محمد بن احمد بن يوسف (ت 386هـ/996م) : مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق (القاهرة، 1342هـ) ص25–27 ؛ الشريف المرتضى: الامالي ، ج1 ، ص127 ؛ الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص96–97 ؛ ابن الجوزي: تلبيس ابليس ، ص41–42 .

[108] ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص41 .

[109] ينظر : الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص25 .

[110] الشريف المرتضى : الامالي ، ج1 ، ص127 .

[111] الشريف المرتضى : الامالي ، ج1 ، ص127 .

في قوم سادة من قومه

نظر الدهر اليهم فابتهل

الا اننا نجد ان بعضا من اهل الحكمة والدراية من العرب قبل الاسلام استخدموا لفظة الدهر للدلالة على الزمن وتوالي السنوات ليس الا ، كما هو الحال عند ذي الاصبع العدواني الذي قال [112] :

اذا ما الدهر جر على اناس

كلاكله اناخ باخرينا

فقل للشامتين بنا افيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

وما ان طبنا جبن ولكنا

منايا ودولة اخرينا

كذاك الدهر دولته سجال

تكر صروفه حينا فحينا

ولطرفه بن العبد البكري بيتاً شعرياً يصف فيه الدهر اذ يقول [113] :

ارى المال كنزاً ناقصاً كل ليلة

وما تنقص الايام والدهر ينفد

---

[112] ذو الاصبع العدواني (حرثان بن محرث) : الديوان ، تحقيق عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نايف الدليمي ، مطبعة الجمهور (الموصل ، 1973) ص83 .

[113] طرفه بن العبد : الديوان ، ص32 .

ومما تقدم نجد ان الشاعر العربي قبل الاسلام يصور الدهر على انه ((اشمل من القدر وارهب واكثر واقعية وقرباً من جوهر الفكر المطلق ، قياساً على مفهوم الزمان ، وفيه من القضاء ، وتغييره لاحوال الكائنات ، وفيه من القدر غموض المصدر ، ومفاجآت الصدفة ولا معقولية التسلسل في الاسباب والنتائج ، وفي توزيع السعادة او الالم)) [114] .

ان حيرة الشاعر الجاهلي المعبر عن رؤى ابناء جلدته والمعبر عن مشاعرهم ، بمدى احاطه الدهر بالقدر من حيث كونه اشمل ، وكذلك البحث عن المصير ، كل ذلك كان مخاضاً فكرياً اجاب عنه الاحناف حينها ، واجاب عنه الاسلام فيما بعد ، اذ اعطى اطاراً شاملاً يتصف بالواقعية التي لا تفصل بين المادة والروح ، بين الدنيا والاخرة ، بين القدر المحتوم والامل الانساني وبذلك تبين لنا مدى الترابط الفكري القائم بين العرب في فترة ما قبل الاسلام وما بعده في رؤيتهم لمادة التاريخ .

وقد وردت اشارات في القرآن الكريم الى الدهريين اذ جاء في قوله تعالى :

((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)) [115] .

وقوله جل وعلا :

((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)) [116] .

وفضلا عن ذلك فقد كان هنالك ((من العرب من يعبدون الملائكة ويزعمون انها بنات الله؛ فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله)) [117] .

---

[114] الصفدي : موسوعة الشعر العربي ، ج1 ، ص15 .

[115] سورة الجاثية ، الاية 24 .

[116] سورة المؤمنون ، الاية 115 .

[117] المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص126-127 .

وقد اشار المسعودي الى ان هؤلاء ((هم الذين اخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى : ((وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)) [118] ، وقوله تعالى: ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى [119]))[120] .

ويشير السهيلي الى ان اهل الجاهلية لم تكن تعرف جبريل عليه السلام ولذلك سألت عنه السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها اهل الكتاب عندما اوحي الى النبي صلى الله عليه واله وسلم [121] .

((ولا بد انهم – المشركون – اعتقدوا في الملائكة ... التقرب من الله وان في امكانها – الملائكة –ان تحقق لهم عنده اكثر مما يحقق باقي انواع الجن)) [122] .

---

[118] سورة النحل ، الاية 57 ، ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت 310 هـ/923م) : جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ط2 (مصر ، 1954) ج23 ، ص106 .

[119] سورة النجم ، الاية 19–22 .

[120] المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص127 .

[121] ينظر : السهيلي ، عبد الرحمن (ت 581هـ/1185م) : الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة (مصر ، 1967) ج2 ، ص244 .

[122] جياووك ، د. مصطفى عبد اللطيف : الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، وزارة الاعلام (بغداد ، 1977) ص32 .

عند الخوض في الحديث عن اهمية الدين في تاريخ الانسانية وتاريخ جزيرة العرب نجد ان احد مؤرخي وآثاري الغرب يتحدث مستندا على المكتشفات التاريخية في الجزيرة فيقول :

((ان الدين العربي القديم هو الخطوة السابقة للدين البابلي والاشوري المعقد ، كما ان ذلك الدين العربي القديم هو الذي مهد لهذا التطور التاريخي للدين (العبري اليهودي) مع حرصه على الاحتفاظ بدين الاباء ودين الصحراء البدائي الذي دان به اباء الشعب واجداده الاولون كما انه كان زمن طويل موضوع نزاع وعراك شديدين بين العقيدتين الدينيتين السامية الشمالية ، والسامية الجنوبية ، والذي تطور اخيرا الى الثالوث الالهي (اب ، ابن ، روح) ومن ثم خطا خطوة الى التوحيد المسيحي في صورته القديمة التي نعرفها في الحضارة العربية القديمة)) [1] .

ان الاسلام لم يأت ((لينفي المسيحية او اليهودية وانما ليؤكدهما معتبرا نفسه استمراراً لهما واحياء لسنة ابراهيم ابي الانبياء)) [2] .

ومما يؤكد ذلك ان كثيرا من ((المصطلحات الاسلامية الدينية التوحيدية نجدها في النقوش العربية الجنوبية القديمة ...ولدينا من النقوش ما يبشرنا اننا بدراستنا نستطيع ان نؤرخ ونفهم العصر الذي سبق الاسلام فهما صحيحا)) [3] .

اذ لم يرد في القرآن عن نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه اول موحد في العالم بل نرى الحديث عنه وعن التوحيد يشمل عددا من الاشخاص ولا سيما اولئك الانبياء الذين سبقوه ودعوا لنفس الاله وعبدوه ومن بين هؤلاء نجد اشخاصاً من الكتاب المقدس كما نجد انبياء عرب ارسلهم الله لمختلف الشعوب العربية القديمة [4] .

لقد حقق الاسلام في رؤيته التوحيدية قفزة نوعية وتحولاً فكرياً في احد الجوانب المهمة في الفكر العربي والانساني عامة ، مستوعباً ما قبله مضيفا اليه ، فقد دفع الاسلام بفكرة

---

[1] نيلسن ، ديتلف واخرون : التاريخ العربي القديم ، ترجمة د. فؤاد حسنين علي ، مكتبة النهضة العربية (القاهرة ، لا ت) ص53 نقلا عن :

D-Nielsn : Derdreienige Goti in religionshist or is Cher Beleuchtung , I-Band : ied reg͏itichen Personen Berlin 1922 .

[2] زيادة ، د. معن : معالم على طريق تحديث الفكر العربي ، ص96 .

[3] نيلسن ، ديتلف واخرون : التاريخ العربي القديم ، ص244 .

[4] ينظر : نيلسن ، ديتلف واخرون : التاريخ العربي القديم ، ص243 .

الوحدة الالهية والتنزيه الالهي خطوات واسعة الى الامام ، فجميع الاديان السابقة بما فيها اليهودية التي هي ديانة خاصة ومغلقة ، والمسيحية وهي من الاديان القليلة المنفتحة والمشرعة الابواب ، تتأخر عن الاسلام كثيرا في مسألة التوحيد [5] .

وفي ربط متقدم بتاريخ التوحيد عند العرب نجد ان المكتشفات الاثارية تؤكد ان ((لفظ (الله) الوارد في القرآن الكريم هو (ال) و (آله) الوارد في النقوش العربية القديمة واكثر من ذلك فكثير من اسماء الله وصفاته الواردة في القرآن نجده في هذه النقوش القديمة وكذلك بعض الاصطلاحات الدينية الخاصة بالاسلام)) [6] .

ومن ذلك نجد ((ان الاسلام تميز منذ انطلاقته الاولى بصفة الشمولية او الكونية الاممية ، ليس بتوجهه الى الامم والشعوب المختلفة فقط ، بل بأخذه فكرة تدرج المعرفة البشرية و استيعاب المرحلة اللاحقة لما قبلها وتخطيها لها ، وايمانه بوحدة العقل البشري ووحدة العالم رغم وجود خصائص تميز الشعوب والامم)) [7] .

اذ ان القرآن الكريم ((يشير الى ان توحيده مستمد من بلاد العرب القديمة وهنا نلمس التطور والتدرج الذي انتهى الى محمد)) [8] .

ومما تقدم يتبين لنا ما للتوحيد من اهمية في البناء التاريخي الذي جاء به الدين وتوالي النبوات في تطور فكرة التاريخ عند الانسان بصورة عامة وعند العرب اذ ان وجود الكتب السماوية وان جاء البعض منها محرفاً او مكتوبا بفترات زمانية متأخرة من المصدر الرسالي الا ان ذلك لا يلغي اهمية التوراة اولاً والاناجيل ثانياً والقرآن ثالثاً.

ان هذه الكتب السماوية الثلاثة ((هي ولا شك من اهم الوثائق التي جاءتنا لا لتاريخ (الشعوب) العربية فحسب بل الوحي العربي ايضا)) [9] .

---

[5] ينظر : زيادة ، د. معن : معالم على طريق الحديث الفكر العربي ، ص97 .

[6] نيلسن ، ديتلف واخرون : التاريخ العربي القديم ، ص241-242 .

[7] زيادة ، د. معن : معالم على طريق تحديث الفكر العربي ، ص97 .

[8] نيلسن ، ديتلف واخرون : التاريخ العربي القديم ، ص243 .

[9] نيلسن ، ديتلف واخرون : التاريخ العربي القديم ، ص262 .

لقد قدم المؤرخون العرب المسلمون القدامى [10] بعض التفاسير ومن ذلك ان التاريخ البشري ، بما فيه تاريخ العرب ، تعبير عن المشيئة الالهية المتمثلة في توالي الرسالات ، واخرها واكملها الاسلام [11] .

لقد اهتم المسلمون ((بفلسفة التاريخ وبمعرفة السنن التي جاء بها الاسلام والتي عدت عند بعض الفلاسفة بمثابة قوانين تتحكم في سير الانسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها والبشرية ومصائرها .

والواقع ان الاسلام دين يعتبر التاريخ اساسا في عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الانسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ... هذا فضلا عن تأكيده علاقة القرآن بما في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام، وان الاسلام والرسول يتبعان ملة ابراهيم حنيفا مسلما ، ويؤكد باستمرار على المسلمين بان ينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، وينظروا الى مصائر الامم)) [12] .

وكان القرآن قد جاء ((بنظرة عالمية الى التاريخ تتمثل في توالي النبوات وهي في الاساس رسالة واحدة بشر بها انبياء عديدون وكان الرسول الاعظم خاتم الانبياء والمرسلين . وكان لهذه النظرة اثرها في الالتفات الى تاريخ الانبياء والى الاسرائيليات)) [13] .

اضافة لذلك فان الرسول الكريم محمد صلى الله آله وسلم كان ((غاية عمليات التاريخ التي بدأت منذ ان خلق الله العالم . لقد ظهر الانبياء في ازمنة واقاليم متعددة ، ولاقوا النجاح او الفشل في اداء رسالتهم ابان حياتهم ، غير انهم لم يوفقوا جميعا في اسباغ صفة البقاء على رسالاتهم ، اما الان فقد ظهر الرسول فانه يكون خاتم النبيين ورسالته اخر الرسالات .

---

[10] ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت 310هـ / 923م) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ط5 (القاهرة ، 1978) ج1 ، المقدمة ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج1، المقدمة .

[11] ينظر : الدوري، د. عبد العزيز واخرون: تفسير التاريخ ، مطبعة الارشاد (بغداد ، لا ت) ص9 .

[12] ينظر : الدوري ، د. عبد العزيز واخرون : تفسير التاريخ ، ص18 .

[13] الدوري، د. عبد العزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق(بيروت ، 1983) ص18.

لم يكن الرسول بدعا من الرسل بل كان متصلا تاريخيا بسلسلة من الانبياء ، وهو بصورة خاصة خليفة ابراهيم ... وهكذا قدم الرسول صورة كونية لتاريخ الماضي)) [14].

ومما تقدم نجد ان الديانات اليهودية والمسيحية والاسلامية كانت ديانات توحيدية تتبع ملة ابراهيم حنيفا مسلما وان تاريخ هذه الديانات يمثل تاريخاً لفترة زمنية ليست بالقصيرة في التاريخ الانساني ولذلك سنأتي على ذكر هذه الديانات بشيء من الايجاز :

---

[14] روزنثال ، فرانز : علم التاريخ عند المسلمين ، ص40 .

اليهودية [15]

اقترنت بنبي الله موسى عليه السلام وكتاب التوراة المنزله عليه لدعوة قومة بني اسرائيل الى دين الله ، وقد كان هؤلاء انذاك في مصر ((قد اقاموا من زمان يوسف في الرق والعبودية)) [16].

ولكن هذه الديانة ((قد تعرضت على امتداد قرون طويلة ... بين "الخروج" من مصر وبين تثبيت عزرا ونحميا للنص التوراتي لتطور ارتجاعي افضى الى توافق مع ديانة موسى البدئية)) [17].

((لقد بذلت جهود لربط بعض قوانين المؤسسات الحديثة بعصور نائية ، لانزالها منزلة الشرائع باسنادها الى قوانين موسى ، تبريراً لطابعها المقدس الالزامي ومهما تكن التزويرات التي طرأت على هذه النحو على النص ، فلنلقي بان هذا النهج قابل للتبرير، الى حد ما من وجهة النظر السايكولوجية)) [18].

ويمكن القول بانه ((لا يعرف التاريخ امة وضعت تاريخها ودونته بيدها كما فعل اليهود ، فقد صاغته في اطار من المقدسات والغيبيات وجعلته كله وحيا من السماء نافذا بإرادة الله ، ومن ثم فهو فوق كل جدل ونقاش)) [19].

---

[15] ينظر :

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص31-42 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص48-52؛ ابن النديم : الفهرست ، ص28 -40 ؛ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص24 ؛ نيلسن ، ديتلف واخرون : تاريخ العرب القديم ، ص243 ؛ فرويد ، سيجموند : موسى والتوحيد ، ترجمة فؤاد طرابيشي ، دار الطليعة ، ط2 (بيروت ، 1977) ص43 ؛ ويد جيري ، البان ، ج : المذاهب الكبرى في التاريخ ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار القلم (بيروت ، 1972) ص121 ؛ الميرا ، اسماعيل علي : السلالات البشرية ، مؤسسة عز الدين للطباعة (بيروت ، 1982) ص235 ؛ ديورانت ، ول : قصة الفلسفة ، ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع ، دار المعارف ، ط2 (بيروت ، 1975) ص185 ؛ باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج1 ، ص547 ؛ سوسة ، د. احمد : العرب واليهود في التاريخ ، دار الاعتدال ط2 ، (دمشق ، لا ت) ص147 ؛ علي، د . جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج1، ص55 .

[16] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص35 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص50 .

[17] سيجموند ، فرويد : موسى والتوحيد ، ص43 .

[18] سيجموند ، فرويد : موسى والتوحيد ، ص63.

[19] الميرا ، اسماعيل محمد : السلالات البشرية ، ص235 ؛ ينظر العهد القديم : قضاة 20 : 17-28 .

وسموا باليهود نسبة الى مملكة يهوذا [20] ومن هناك تبدأ القصة الحقيقية لكتابة التوراة والتاريخ اليهودي [21] ، ففي عهد (يهوياكم) ملك مملكة يهوذا والذي تعرض لغزو نبوخذ نصر عام (579ق م) اذ حاصر اورشليم واسر مجموعة من اليهود وذلك ما كان يسمى بالسبي البابلي الاول .

وبعد ان تم تنصيب ملك موالي لنبوخذ نصر سرعان ما خلع هذا الملك ولاءه ، وانحاز الى الفرعون المصري مما دعا نبوخذ نصر لمحاصرة اورشليم مرة اخرى عام (586ق م) وتم اسر اعداد كبيرة من اليهود قاربت (40.000) اسير ثم اخذهم الى بابل وهذا هو السبي البابلي الثاني لليهود الذين مكثوا في بلاد بابل الى زمن الدولة الفارسية الاخمينية اذ رجع معظمهم الى فلسطين [22] .

كان لذلك تأثيرات كبيرة في الديانة اليهودية وفي تطور معتقداتها الاساسية بحيث يمكن القول ان هذه الديانة بصفتها ديانة موحدة ، ونضج فكرة الوحدانية فيها انما نمت في اثناء بقاء اليهود في بلاد بابل ، كما بدأ فيها جمع اسفار التوراة وتدوينها ما بين القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد ، هذا بالاضافة الى ما اخذه اليهود من اداب وحضارات وادي الرافدين ومعارفها واساطيرها وقصصها [23] .

وهذا يعني بان التوراة قد كتبت بعد ابراهيم الخليل عليه السلام بالف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى عليه السلام باكثر من سبعة قرون ، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى في عصره . وهذا ما اكدته المكتشفات الاثارية [24] .

---

[20] اذ قلب اليهود الذال دالا حيث انها لم تكن معروفة في لغتهم فجمعوها كلمة (يهود) ؛ ينظر الخفاجي ، د. مزهر : خصائص الشخصية العراقية في التاريخ القديم (رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التاريخ العربي ، بغداد ، 1999) ص132 .

[21] ينظر سوسه ، د. احمد : العرب واليهود في التاريخ ، ص158 .

[22] ينظر : باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1 ، ص547-548 ؛ سوسه ، د.احمد : العرب واليهود في التاريخ ، ص147-148 ؛ ينظر : العهد القديم : الملوك الثاني 24 ، 8-20 ، 25 ، 1-21 ؛ الايام الثاني 36 : 13-23 ؛ عزرا 2 : 70 .

[23] ينظر : ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة (القاهرة ، 1949) ج2 ، ص366-368 .

[24] ينظر : سوسه ، د. احمد : العرب واليهود في التاريخ ، ص159 .

ولا تختلف الدراسات الحديثة والمكتشفات الاثارية كثيرا عن النظرة التاريخية الاسلامية لديانة موسى عليه السلام وقومه بني اسرائيل واليهودية والتوراة اذ تشير المصادر الاسلامية [25] الى ان التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام قد كتبت في سيناء على عهده .

وبعد توالي السنون ووفاة نبي الله سليمان عليه السلام بفترة حرف اليهود ديانة موسى عليه السلام وعبدوا الاصنام فسلط الله تعالى عليهم ملوك بابل فحصل السبي البابلي الاول والثاني .

وكانت شريعة بني اسرائيل انذاك توحيد الله ، والاقرار بنبوة موسى وهارون ابني عمران عليهم السلام [26] .

وهذه النظرة الاسلامية لتاريخ الديانة الموسوية تستند اساسا لما جاء بالقران الكريم حسب ما جاء في قوله تعالى :

((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) [27] .

وقوله تعالى :

((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْأِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ)) [28] .

وقوله جل من قال :

((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [29] .

وقوله جل من قال :

((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [30] .

---

[25] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص58-59 ؛ المسعودي :مروج الذهب ، ج1، ص58-61 .

[26] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص60 .

[27] سورة الانعام ، الاية 84 .

[28] سورة آل عمران ، الاية 65 .

[29] سورة آل عمران ، الاية 67.

[30] سورة يونس الاية ، 90 .

وفي هذه الاية دليل تاريخي على ان دين ابراهيم وموسى عليهما السلام هو التوحيد والاسلام وذلك ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعد ، الا ان اليهود والنصارى كانوا قد حرفوا الديانة ، قال تعالى :

((قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً)) [31].

وقوله تعالى :

((مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)) [32] .

بقي لنا ، ان نتحدث عن التاريخ عند اليهود اذ تقوم رؤيتهم للتاريخ على اساس انه تاريخ (شعب اسرائيل) في المقام الاول وهو تاريخ البشرية بصورة عامة [33] .

واليهود يشتركون في الاعتقاد بانهم (شعب الله المختار) اذ ان الاقتناع لم يكن مظهرا بسيطا من مظاهر كبرياء العرق وانما كانت له صفة دينية دقيقة جداً [34] .

فهم يعتقدون بان ((الله يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظرة اليهودية الى التاريخ ، فالله هو روح ولا يمكن ان يمثل في صورة مرئية ، ومع ذلك فانه خلق الانسان (على صورته) فالانسان هو اذا روح كذلك)) [35] .

وقد كانت ديانة اليهود على اساس وحدانية (يهوة) الخاصة بهم فقط اذ كان (يهوة) اله اسرائيل لا اله الناس كلهم، وان هذه النظرة القائمة على اساس انهم شعب الله المختار وضعت من قبل اليهود اثناء السبي البابلي وليس من قبل بني اسرائيل من قبل[36]، اذ تم توظيف التوراة التي كتبت في خمسة اسفار [37] لخدمة هذه الاهداف .

---

[31] سورة الانعام ، الاية 91 .

[32] سورة النساء ، الاية 46 .

[33] ينظر : ويد جيري : المذاهب الكبرى في التاريخ ، ص122 .

[34] ينظر : ويد جيري : المذاهب الكبرى في التاريخ ، ص122 .

[35] ويد جيري: المذاهب الكبرى في التاريخ، ص121؛ العهد القديم : التكوين 4 .

[36] ينظر : سوسه ، د.احمد : العرب واليهود في التاريخ ، ص147 ؛ العهد القديم : الاخبار 20 ، 24 ، التثنية 7 : 1 .

[37] ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص40 .

وقد وصفت اغلب قصص التوراة الموضوعة بانها لا تتعدى منزلة الخرافة والاساطير اذ جمع كتاب التوراة قصصا متلاصقة بدون اندماج ولا انتقاء [38] .

((وفي التوراة ، بين اشياء كثيرة نجد ايضا تاريخا استهدف واضعوه خلال القرون العديدة ، التدليل باستمرار على القدرات الالهية في حياة الشعب المختار)) [39] .

كذلك فان العهد القديم لم يكن شريعة وحسب ، بل هو فوق كل ذلك كتاب تاريخي يحتوي طائفة من اقدم الكتابات التاريخية [40] .

اذ كان واضعو التوراة قد استلهموا فيما استلهموه لتعزيز طروحاتهم تاريخ جزيرة العرب القديم والتاريخ الديني والتاريخ الحضاري لكل من وادي الرافدين ومصر [41] . فعلى الرغم من الانتقائية والتحريف في اختيار ما يناسب تلك الطروحات الا انها جاءتنا مشبعة بروح التاريخ .

ومما تقدم نجد ان الديانة (اليهودية) ألحقه نسبة الى موسى عليه السلام كانت توحيدية ترتبط بديانة ابراهيم عليه السلام بالتوحيد والاسلام ، الا انها قد غُيرت وبُدلت من قبل اليهود تحقيقا لطموحاتهم ولتحقيق تاريخ خاص بهم لوحدهم دون سائر الامم يقوم على نظرة عنصرية لا تمت الى الشريعة والدين بصلة اذ فسر هؤلاء التوراة لما يريدون.

وجعل كهنة اليهود انفسهم واسطة بين اليهود والههم (يهوة) وهم الذين ينفذون الشريعة ويوجهون الشعب اليهودي الى ممارسة شعائرهم الدينية [42] .

---

[38] ينظر : هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص22 ، 31 .

[39] هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص21 ؛ ينظر : العهد القديم : عزرا 9:1-15 ، نحميا 1-11 .

[40] ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، ج2 ، ص385 .

[41] ينظر : ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، ج2 ، ص368-369 .

[42] ينظر : سوسه ، د. واحمد : العرب واليهود في التاريخ ، ص150 .

المسيحية [43] :

اقترنت الديانة المسيحية بالمسيح عليه السلام وكان ظهورها في بلاد الشام وقد بعث عليه السلام الى قومه بني اسرائيل بعد ان غيروا دين موسى عليه السلام وكان كتابه الانجيل الذي ((اظهره الله للناس بعد طموس الحق ودروسه)) [44] .

وقد كتب الانجيل من قبل حواري عيسى عليه السلام متي ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا [45] ، وهؤلاء قد اختلفوا في وضع الانجيل وفي رؤيتهم للسيد المسيح عليه السلام على الرغم من كونهم تلامذته واقرب الناس اليه [46] .

ومن ذلك نستنتج بان الديانة المسيحية قد تم تحريفها كما هو الحال بالنسبة لسابقتها ديانة موسى عليه السلام .

وقد قدم القرآن الكريم عرضا خالف ما عليه المسيحيون من قول عن المسيحية ، اعتمد عليه المؤرخون المسلمون في تناولهم للدين المسيحي اذ يقول المسعودي في ذلك :

((وفي الانجيل خطب طويل في امر المسيح ومريم عليهما السلام ويوسف النجار، اعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك في كتابة ولا اخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم)) [47] .

وقد اخبرنا الله جل في علاه عن المسيح عليه السلام والمسيحية في محكم كتابه اذ يقول جل من قائل :

---

[43] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1، ص62 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص64 ؛ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص23 ؛ الانباري ، ابو بكر: الزاهر ، ج1 ، ص168-169 ؛ ابن النديم : الفهرست ، ص41-42 ؛ هرنشو : علم التاريخ ، ص38-41 ؛ اشبنجلر ، اسوالد : تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة احمد الشيباني ، منشورات مكتبة الحياة (بيروت ، 1964) ج2، ص334،284 ؛ ويد جيري : المذاهب الكبرى في التاريخ ، ص127-150 ؛ ديورانت ، ول : قصة الفلسفة ، ص346 -347 ؛ فروج ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص128 .

[44] الانباري ، ابو بكر : الزاهر ، ج1 ، ص169-170 .

[45] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص62-65 .

[46] ينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج1 ، ص62-65 ؛ العهد الجديد : متي 1 : 18-24، مرقص 1 : 9-11 ؛ لوقا 1 : 26-32 ؛ يوحنا 1-18 ؛ 29-34 .

[47] المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص64 .

((وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)) (48) .

وقوله تعالى :

((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) (49) .

وقوله تعالى :

((إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)) (50) .

وقوله جل من قال :

((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (51) .

وقوله تعالى :

((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ)) (52) .

وقوله تعالى :

((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ...)) (53) .

ان التصور التاريخي في المسيحية يقوم على اساس تصور تاريخي للكون يبدأ بالخلق وينتهي بالدينونة العامة . ونطاق هذا التصور يشمل خطيئة الانسان ، والانتظار الطويل

---

(48) سورة المائدة ، الاية 46 .

(49) سورة التوبة ، الاية 30 ، 31 .

(50) سورة آل عمران ، الاية 45 .

(51) سورة آل عمران ، الاية 59 .

(52) سورة النساء ، الاية 171 .

(53) سورة الصف ، الاية 6 .

للتجسد ، وحياة المسيح على الارض ، ومراحل حياة الكنيسة المنظورة وعظمة التضحية التي تقدمها لله بانتضار الظهور النهائي [54] .

كذلك فان المسيحية رأت في الدين ((درعاً واقياً لحماية الناس من غزو الملذات الارضية الزائلة التي لا خير فيها ، لقد رفعت المسيحية مثلها الاعلى الذي يتجلى في حياة القديس المتبتل الزاهد في وسط عالم يطفح بالترف والبذخ والجاه والسلطان ودعت الى جهاد النفس والتغلب على الارادة الفردية تغلبا مطلقاً)) [55] .

وهي بذلك تكون فلسفة لاهوتية عميقة ، جوهرها قائم على مبدأ الخطيئة الاصلية ... والتكفير عن الخطايا [56] .

ومن ذلك يتبين لنا بان ((المسيحية تقدم التاريخ كانه مأساة اول فصولها يتألف من سقوط ادم ومن استمرار الخطيئة أي الخلل بالنسبة لله الذي يورثه هذا السقوط ، والفصل الثاني من المأساة هو ظهور الله في التاريخ ، من خلال اغراض يسوع الانسانية ويشتمل هذا الفصل على :

أ. تأسيس الكنيسة في ظل تأثير يسوع الشخصي وطريقة حياته وتعاليمه .

ب. خلاص الانسانية من خلال صلب يسوع .

ج. بعثه وصعوده الى السماء اللذان يمنحان البشر اليقين في خلودهم .

ويتكون الفصل الثالث من تبشير العالم بالانجيل عبر انتشار الكنيسة المسيحية . اما الفصل الرابع والنهائي فيكون القدوم الثاني للمسيح يرافقه ((الحساب الاخير)) وتشييد مملكة الله الموسومة بالكمال والنعمة والله يحكم من حيث هو روح القدس ، حياة المسيحيين وتوسع المسيحية بصورة عامة)) [57] .

وداخل هذا الاطار ((كان تصور الله كانه ثالوث يشكل وحدة : الاب والابن والروح القدس ، فالاب كانت له رفعة الشأن من حيث انه خالق العالم والبشر جاعلا التاريخ ممكنا على هذا النحو ؛ ويهدي الابن من حيث انه مخلص التاريخ الى هدف مرسوم الهياً ، ثم الروح

---

[54] ينظر : هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص31 .

[55] ديورانت ، ول : قصة الفلسفة ، ص437 ؛ ينظر : العهد الجديد : متي 6:19-23 .

[56] ينظر : ديورانت ، ول : قصة الفلسفة ، ص436 ؛ ينظر العهد الجديد : رسالة بولص 2:1-6 .

[57] ويد جيري : المذاهب الكبرى في التاريخ ، ص141 .

القدس من حيث انه المبرر للناس على مدى سير عملية التاريخ والعنصر الاساسي في النظرة المسيحية ... هو الاقتناع في ضرورة ظهور الله في التاريخ بشكل انساني من اجل خلاص البشر بعد ان غدوا فاسدين بخطيئة ادم . وهذه العقيدة في تجسيد الله ، تكون الفرق من حيث الاساس بصورة حاسمة بين المسيحية وبين النظرات التوحيدية الاخرى الى التاريخ)) [58] .

ان المسيحية جاءت برؤية اخلاقية متقدمة على اليهودية اذ نجد في الكتاب المقدس [59] ، اشارات كثيرة للقيم الاخلاقية التي تؤدي الى تكوين المجتمع الفاضل باستلهام دروس التاريخ عضة وعبرة كسعادة للحاضر والمستقبل من خلال وحدة رسالية واضحة بتأكيد السيد المسيح عليه السلام من انه ما جاء لنقض الناموس او الانبياء بل جاء مكملاً لما قبله سائرا في الطريق نحو الكل الرسالي اذ يقول : ((لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء. ما جئت لا نقض بل لأكمل فاني الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض ولا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل))[60] .

ان كل ما تقدم لا ينفصل عن التاريخ من حيث العرض والمحتوي اذا ان كثيرا مما جاء بالاناجيل كان يمثل تاريخا للانسان وعلاقته بالرب وباخيه الانسان وكذلك الكثير من القصص المتعلق ببني اسرائيل وقد كان ذلك عبركم كثير من الراويات الحافلة بالقصص التاريخي [61] .

---

[58] ويد جيري ، المذاهب الكبرى في التاريخ ، ص142 .

[59] ينظر : العهد الجديد : انجيل متي 5 : 21 ،27، 43 .

[60] ينظر : العهد الجديد : انجيل متي 5 : 17 .

[61] ينظر: العهد الجديد: انجيل متي 6 :24-34 ، 7 : 1-6 ؛ انجيل لوقا 1 : 5-7 ، 11-25 .

الاسـلام :

ظهرت الديانة الاسلامية بعد المسيحية بما يقارب الستة قرون ، وقد جاءت للقضاء على الشرك وبعث ديانة التوحيد من جديد على اسس الايمان بالله ورسله وكتبه واليوم الاخر .

قال تعالى :

((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا ...)) [62] .

وقوله جل من قال :

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) [63] .

وقوله تعالى :

((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)) [64] .

وقوله تعالى :

((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))[65] .

لقد تميز القرآن الكريم الكتاب السماوي الذي جاء به دين الاسلام بانه قد دون في زمن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتعرض لاي نوع من التحريف.

قال تعالى:

((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [66] وبذلك تكون الديانة الاسلامية التي كانت خاتمة الديانات السماوية ، قال تعالى :

---

[62] سورة الشورى ، الاية 13 .

[63] سورة الانبياء ، الاية ، 25 .

[64] سورة آل عمران ، الاية 19 .

[65] سورة آل عمران ، الاية 64 .

[66] سورة الحجر ، الاية 9 .

((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً)) [67] ، تكون قد جاءت كاملة غير منقوصة ، وقد كانت دينا عالميا ، قال تعالى :

((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)) [68] .

وقوله تعالى :

((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [69] .

وهذا الدين مرتبط بالديانات السماوية السابقة له ، قال تعالى :

((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [70] .

وقد اكد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عالمية دعوته بارساله الرسل بالدعوة للاسلام الى ملوك وامراء زمانه من العرب والفرس والروم والقبط والاحباش [71] .

وعالمية وشمولية الاسلام وكذلك نظرته للحياة المتمثلة بكونه ((نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنها الله لخلقه ، وما عمله الاسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الانسانية)) [72] .

كل ذلك جعل الاسلام على خلاف مع اليهودية المحرفة التي رات ان الله قد اصطفاها من دون الامم ، وكذلك المسيحية التي تركت الانسان يعيش متعثرا بالخطيئة الموروثة التي

---

[67] سورة المائدة ، الاية 3 .

[68] سورة الفرقان ، الاية 1 .

[69] سورة سبأ ، الاية 28 .

[70] سورة الاعراف ، الاية 157 ، 158 .

[71] ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ج4 ، ص263.

[72] اسد ، محمد : الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ط9 (بيروت، 1977) ص22 .

ارتكبها ادم وحواء [73] اذ ان الاسلام مهد لنفسه ((طريق سيره كبرنامج ... يعالج المساوئ والعيوب التي كانت عليها الحياة المسيحية)) [74] .

وقد امتاز النظام الاسلامي بميزة ((تتمثل فيما يرتكز عليه من فهم معنوي للحياة واساس خلقي بها ، والخط العريض في هذا النظام هو اعتبار الفرد والمجتمع معاً ، وتأمين الحياة الفردية و الاجتماعية بشكل متوازن)) [75] .

وفي فهم عميق لرمز ومعاني الحج الى الكعبة المشرفة يرى محمد اسد وهو من اهل الغرب ممن درس الاسلام بعمق فاسلم اذ يرى ان ((الكعبة التي يولي كل مسلم وجهه شطرها في صلاته ترمز الى وحدانية الله ، وان الطواف حولها يرمز الى جهود الحياة الانسانية . وهكذا نرى ان الطواف لا يعني ان افكارنا الخاشعة وحدها فقط بل حياتنا العملية واعمالنا وجهودنا ايضا ، كل هذه يجب ان تتمثل في نفسها فكرة الله ووحدانيته على انها مركز لها)) [76] .

((ان الله يوجد في مركز الدائرة من الاسلام . كما ان النظرة الاسلامية للتاريخ هي نظرة توحيدية)) [77] .

والاسلام يرى بان ((الله هدى الناس بالانبياء وبالصحف المقدسة : فقد كان موسى ويسوع نبيين ... اما محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان اخر الانبياء واهمهم جميعا . كذلك فان الانسانية تجد في القرآن قواعد سلوكها ، وفي الصلاة الاتحاد الشخصي بالله . وبالتالي فان تنزيل القرآن يشكل نقطة انعطاف في التاريخ)) [78] .

---

[73] اسد ، محمد : الاسلام على مفترق الطرق ، ص28 .

[74] توينبي ، ارنولد : العالم والغرب ، ترجمة عبد الواحد الانباري ، الدار القومية للطباعة والنشر (بيروت ، لا ت) ص17 .

[75] الصدر ، محمد باقر : فلسفتنا ، دار التعارف للمطبوعات ، ط2 (بيروت ، 1998) ص43 .

[76] اسد ، محمد : الاسلام على مفترق الطرق ، ص23 .

[77] ويد جيري : المذاهب الكبرى في التاريخ ، ص131 .

[78] ويدجيري : المذاهب الكبرى في التاريخ ، ص131 .

وان بعضاً مما جاء في خطبة الوداع للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يشكل رؤية تاريخية هامة لتسلسل الحوادث التاريخية وفق المفهوم الاسلامي اذ يقول : ((وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض ...)) [79] .

((اننا لا نفهم معنى لاستدارة الزمان اقرب ولا اوجه من انه قد بدأ جديداً بكراً كما بدأ اول ما خلق فان الزمان الارضي بالمعنى الذي نفهمه ناشئ عن حركة الفلك . ويوم خلق الله السماوات والارض بدأ هذا الزمان بعد ان لم يكن فكانه صلى الله عليه وآله وسلم يريد ان يقول ان الاسلام فاصل بين زمانين في عمر الانسانية زمان مضى وزمان جديد بدأ بالاسلام الذي كون الله به الانسان الجديد ، وهو الانسان المسلم)) [80] .

والمسلمون يؤمنون بانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والتحول من شيء الى شيء يحتاج الى قوة دافعة والقوة المحركة الاولى للاشياء في الكون والخلق هي قدرة الله سبحانه وتعالى .

ان ايات القرآن الكريم البينات ((ترحل بالمؤمنين عند كل تلاوة في مجرى الزمن وتحكي لهم عن وقائع التاريخ المزدحمة واحداثه المتلاحقة ومعطياته المتمخضة عن القيم والعبر والدلالات)) [81] .

((انه يتنقل بحرية بين الازمان الثلاثة .. يلغي الحواجز ويزيل المتاريس ، ويمضي يحدثنا عن وقائع الكون والحياة والعالم .. الماضي وكانه يتخلف امام اعيننا .. المستقبل وكانه اصبح ماضياً .. الحاضر وكأنه ممتد ، ماضياً ومستقبلاً .. فلا اول له ولا انتهاء)) [82] .

---

[79] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج4 ، ص260 ؛ البخاري ، محمد بن اسماعيل بن المغيرة (ت 256هـ/870م) : صحيح البخاري ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد ، مكتبة الايمان (مصر ، 2003) ، ص910 .

[80] شمس الدين : محمد مهدي : بين الجاهلية والاسلام ، دار الكتاب اللبناني والمصري (بيروت، 1975) ص52-53 .

[81] خليل ، د. عماد الدين : حوار في المعمار الكوني ، دار الثقافة (قطر ، 1987) ص110 .

[82] خليل ، د. عماد الدين : حوار في المعمار الكوني ، ص116 .

((ان الاسلام دين واقعي ، فهو يتعامل مع الانسان كله : جسمه وروحه وعقله ووجدانه ، ويطالبه ان يغذيها جميعاً ، بما يشبع حاجاتها في حدود الاعتدال)) [83] .

وسيتبين لنا في المبحث القادم اهمية القصص القرآني بما يحمله من معان تاريخية تهدف من خلال ايراد القصص زيادة خبرت الانسان للاستنارة من خلال التفكر والتدبر للاسترشاد الى طريق الخير بعد تعرف احوال الامم والاقوام الماضية .

---

[83] القرضاوي ، د. يوسف : ملامح المجتمع المسلم ، مطبعة العرفان (عمان، 1996) ص235 .

القصص في اللغة ، اتباع الاثر وقيل القاص يقص القصة لاتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً [84] .

والقرآن الكريم .. كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. هو القول الفصل في كل ما يريد الله وما لا يريده ، وهو الحقيقة الفاصلة الحاسمة التي لا يرقى اليها الشك [85] . وقد احتوى كثير من قصص الانبياء وقصص الاقوام التي خلت . قال تعالى :

((لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) [86] .

ان كلمات القرآن الكريم منفردة بذاتها وبخصائصها لا تستطيع ان تغير كلمة او تبدل عبارة او تقدم جملة ، فكل كلمة تمسك بالاخرى ... حتى الحرف لا يأتي في القرآن الا لضرورة ولا يمكنك ان ترفع حرفاً من مكانه او تستبدله بحرف اخر [87] .

((ان القرآن بدون شك ، ادخل بقصصه التاريخية المسوقة للعبرة فناً من الفنون الجديدة في الادب العربي كفن القصة . وكانت قصصه ... مستفيضة ملمة بالاحداث الى ابعد مداها من الكمال حتى لقد استوعب بعض السور الكبرى كسورة يوسف ، او جاء نبذا متفرقا من خلال بعض السور ، كقصة ادم وابراهيم وموسى وعيسى ، او جاء باشارات والمامات حملت جمهور المتخصصين بتلك القصة على الرجوع الى كتاب العهد القديم، كقصص يعقوب وانبياء بني اسرائيل)) [88] .

ان عرض القصص القرآني في سرد مختصر حيناً او المامات في اماكن متفرقة لم يكن بقصد الابهام بل كان حكمة ربانية هدفت الى تحفيز العقل الانساني للانتقال عبر المساحة المكانية والبعد الزماني الذي مثلته هذه القصص ، لاستنتاج العبرة من الهدف الذي هدفت لتحقيقه غاية ايرادها ، كذلك التقصي والبحث الدائم اذ ان كتاب الله الكريم كان خاتمة الكتب السماوية فهو بذلك باق بقاء الزمان والمكان منهلا للفكر الانساني وصولا للسعادة الابدية ، قال تعالى :

---

[84] ينظر : الفيروز اباذي ، محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1413م) : القاموس المحيط ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة (مصر ، لا ت) ج2 ، ص313 .

[85] فضل الله ، محمد حسين : الحوار في القرآن الكريم ... ، دار الملاك ، ط2 (بيروت ، 2001) ص43 .

[86] سورة فصلت ، الاية 42 .

[87] ينظر : محمود ، مصطفى : القرآن كائن حي ، المطبعة العربية الحديثة (مصر، 1978) ص14 .

[88] الفؤادي ، عبد الهادي : القصص في العصر الاسلامي ، دار الزمان (بغداد ، 1966) ص12 .

((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) [(89)] .

ان مفردة القص الواردة في ثنايا هذه الاية ترسخ معنى الرؤية التاريخية فالقص في كتاب الله العزيز جاء تتويجاً لتجربة انسانية والهية اكيدة والا ما كان كتاب الله العزيز يؤكد معانيها في كثير من سوره واياته ، و يسرد لنا بعض دروسها التاريخية كقصة وتجربة انسانية . قال تعالى :

((فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)) [(90)] . اذ ان بواكير الدلالات القصصية تتمثل في قصة ادم وتخيير رب العباد له بين ان يشقى وبين ان يكون مثواه الجنة ، ان القص هنا قد دون لنا تجربة الخالق في عرض الطريقين امام ادم عليه السلام فدون عبر هذه الاية قصة الشقاء الانساني القائم على عدم الاعتبار والتي لا زال درسها التاريخي يتكرر .

ولما كان القصص من بين الاساليب التي استخدمها القرآن للوصول الى عقل الانسان وشعوره، سواء في ذلك القصة التاريخية التي تتناول تاريخ الانبياء والسابقين، او القصة التي تذهب مذهب المثل في عرضها لبعض الصور الاجتماعية المتحركة في واقع الحياة او القصة القصيرة الخاطفة التي تشير الى موقف خاص او نموذج بشري عين [(91)] .

قال تعالى :

((فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [(92)] ان الاية هنا تؤكد مفهوم التكرار في القص التاريخي علَّ الانسان يتعض من الدرس الالهي ليتمثله تجربة انسانية معاشه . والا ما قال سبحانه وتعالى ((لعلهم يتفكرون)) . والتفكر هنا التبصر ، والتبصر في معناه التاريخي هو تمثل الدرس الانساني او التجربة بمعناها الديني والانساني والاخلاقي وهذا ما اتفقت عليه كل الديانات السماوية .

[(89)] سورة يوسف ، الاية 111 .

[(90)] سورة طه ، الاية 117 .

[(91)] ينظر : فضل الله ، محمد حسين : الحوار في القرآن الكريم ، ص229 .

[(92)] سورة الاعراف ، الاية 176 .

وقوله تعالى : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) [93] والعبرة هنا تمثل الدرس التاريخي .

وقوله تعالى :

((أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ)) [94] .

وقوله جل من قال :

((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)) [95] .

وقوله سبحانه :

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) [96] .

وقوله تعالى :

((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القرآن مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً))[97] .

وقوله تعالى :

((وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً)) [98] .

---

[93] سورة يوسف ، الاية 111 .

[94] سورة السجدة ، الاية 26 .

[95] سورة العنكبوت ، الاية 43 .

[96] سورة النحل ، الاية 112 .

[97] سورة الاسراء ، الاية 89 .

[98] سورة الكهف ، الاية 83-88 ؛ ينظر ايضاً الاية 89-98 .

وجاء عرض القصص القراني للوقائع والحوادث التاريخية ((من اجل اعطاء صورة عن الواقع ... تخضع فنيا لقوانين القص في عرض تفاصيل المواقف والاحداث)) [99] .

وهي بذلك لم تكن في اغراضها واهدافها تسعى لعرض التاريخ لمجرد العرض ومن ذلك نستنتج ان فلسفة التاريخ بمفهوم العصر الحديث من خلال ربط قانون السببية في تحليل الاحداث التاريخية لم يكن وليد هذا العصر بل ان ذلك فهم اسلامي سابق دل عليه قرآن المسلمين اذ ((دل على ان كل شيء يحدث بسبب سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد او النبات او بالحيوان او بالانسان او بالاجرام السماوية ، ام بالظواهر الكونية المادية المختلفة . فقانون السببية أي ربط المسببات باسبابها والنتائج بمقدماتها ، هذا القانون عام شامل لكل ما في العالم ولكل ما يحصل للانسان في الدنيا والاخرة)) [100] .

قال تعالى :

((وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ)) [101] .

وقوله جل من قال :

((كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)) [102] .

وقوله تعالى :

((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)) [103] .

وقوله جل وعلا :

((كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) [104] .

---

[99] فضل الله ، محمد حسين : الحوار في القرآن الكريم ، ص229 .

[100] زيدان ، عبد الكريم : السنن الالهية ، دار احسان (بيروت ، لا ت) ص21-22 .

[101] سورة البقرة ، الاية 22 .

[102] سورة البقرة ، الاية 151 .

[103] سورة البقرة ، 189 .

[104] سورة آل عمران ، الاية 11 .

وقوله تعالى:

((أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)) [105] .

وقوله تعالى :

((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً)) [106] .

وقوله جل من قال :

((رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)) [107] .

وقوله جل من قال :

((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) [108] .

ومن بين اهداف القرآن الكريم التي ارادها من القصة ، التركيز على وحده الرسالات ووحده الاساليب التي يتبعها الرسل في الدعوة الى الله ... كدليل على الخط الذي اراد الله لرسالاته ان تسير عليه ، وعلى المشاكل الواحدة التي يواجهها الدعاة في كل زمان ومكان ، وعلى الرغم من اختلاف الظروف المحيطة بكل واحد منهم ... وكان تاريخ الانبياء السابقين في كل ما اثاروه من قضايا ، وما واجههم من صعوبات وما حققوه من نتائج ، عنصراً مهماً وحيّاً في تحقيق هذا الهدف [109] .

قال تعالى :

---

[105] سورة النساء ، الاية 82 .

[106] سورة النساء ، الاية 137 ؛ ينظر ابن كثير : عماد الدين ابو الفدا (ت 774هـ/1372م) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق محمد ناصر الالباني ، مكتبة الصفا (القاهرة ، 2002) ج3 ، ص264 .

[107] سورة النساء ، الاية 165 .

[108] سورة المائدة ، الاية 48 .

[109] ينظر : فضل الله ، محمد حسين : الحوار في القرآن الكريم ، ص230-231 .

((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) [(110)] .

وقوله تعالى :

((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)) [(111)] .

ومن اهداف القرآن في ايراد القصة كونه اراد ((ان يقدم للانسان قضايا الحياة على صورة نماذج ، يشعر معها بالوضوح الذي يجسد الفكرة ويجعلها مثلا حياً امامه ، فكانت القصة من اكثر الاساليب قدرة على تحقيق هذا الهدف ، بما تتيحه للفكرة من عرض حي في اطار حركة الاشخاص بدلا من تجريدها)) [(112)] .

قال تعالى : ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْأِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ)) [(113)] .

وقوله تعالى :

((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [(114)] .

ان اية مطالعة جادة ذكية وواعية ملتزمة للتاريخ تجد من خلال قراءة القصص القرآني ، انه يرمي من جملة ما يرمي اليه : اثاره الفكر البشري ، ودفعه الى التساؤل الدائم والبحث الدائب عن الحق ، وتقديم خلاصات التجارب البشرية ، عبراً ليسير

---

(110) سورة البقرة ، الاية 136 .

(111) سورة الصف ، الاية 6 .

(112) فضل الله ، محمد حسين : الحوار في القرآن الكريم ، ص231 .

(113) سورة البقرة ، الاية 204–206 ؛ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص289 .

(114) سورة البقرة ، الاية 247 .

على هديها اولو الالباب ... وتقديم الدليل على علم الله الواسع الذي احاط بحركة التاريخ ماضيا وحاضرا ومستقبلاً .. ثم تأكيد البرهان على الحق الواحد الذي جاء به الانبياء السابقون جميعا وسعوا الى ان يقودوا اممهم الى مصدره الواحد الذي لا اله الا هو [115] .

قال تعالى :

((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ)) [116] .

وقوله جل من قال :

((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)) [117] .

وقد كانت الحكمة القصصية واحدة من اساليب عرض الوقائع التاريخية في القرآن الكريم فليس كل ما جاء من معطيات قرآنية يحمل طابع التاريخ الا ان عدداً كبيراً من عروضه ، وان جاءت تسميتها بالقصص بمعنى الحديث عن الماضي ، تخرج عن الاطار الفني للقصة ، وبذلك تكتسب بعدها التاريخي المجرد [118] .

وهو يرد قصص اقوام خلت او ديانات اخرى يقول سبحانه وتعالى :

((وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)) [119] . وقوله تعالى : ((وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)) [120] .

---

[115] ينظر : خليل ، د. عماد الدين : التفسير الاسلامي للتاريخ ، شركة اسيا للمطبوعات ، ط4 (الموصل، 1986) ص106 .

[116] سورة الانعام ، الاية 6 .

[117] سورة الانعام ، الاية 11 .

[118] ينظر : خليل ، د. عماد الدين : التفسير الاسلامي للتاريخ ، ص97 .

[119] سورة المائدة ، الاية 12 .

[120] سورة الاعراف ، الاية 130 .

وقوله تعالى:

((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً)) (121) .

ان القرآن يطرح علينا لاول مرة مسالة (السنن) و (النواميس) التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطئ وعبر مسالكها (المقننة) التي ليس الى الخروج عليه سبيل لانها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائز واخلاقا وفكرا وعواطف ووجدانا (122) .

قال تعالى :

((يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (123) .

وقوله جل من قال :

((قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ)) (124) .

وقوله تعالى :

((سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)) (125) .

ويتبين لنا ان مفهوم السنن متعدد المعاني فمرة تاتي السُنة بمعنى السبيل او الطريق او الشريعة ، ومرة تاتي بمعنى الدين ، وتاتي مرة اخرى بمعنى المبادئ او التعاليم ، لكن القصد القرآني في تكرار معانيها يهدف في منهجه الى الكشف ((عن سنن العالم والحياة ، ونواميس الكون ، وهو منهج شامل مرن يخضع لتقلبات الزمان والمكان ... لقد دعا القرآن الناس الى التبصر بحقيقة وجودهم ، وارتباطاتهم الكونية عن طريق

---

(121) سورة النساء ، الاية 157 .

(122) خليل ، د. عماد الدين : التفسير الاسلامي للتاريخ ، ص108 .

(123) سورة النساء ، الاية 26 .

(124) سورة الانفال ، الاية 38 .

(125) سورة الاسراء ، الاية 77 .

(النظر الحسي) الى ما حولهم ، ابتداء من مواضع اقدامهم وانتهاء بافاق النفس والكون)) [126] .

قال تعالى :

((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)) [127] .

قال جل من قال :

((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) [128] .

وقوله تعالى :

((هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) [129] .

ان هذه السنن تقوم ((على نحو هو غاية في الدقة والصرامة والاطراد)) [130] .

قال تعالى :

((فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)) [131] .

ومما تقدم نجد ان الله سبحانه وتعالى ومن جملة ما اقره من خلال القص القرآني تبصير الانسان الذي يتحمل المسؤولية من الله سبحانه ، وكان بذلك خليفة الله في الارض .

قال تعالى :

---

[126] خليل ، د. عماد الدين : مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم ،مطبعة الزهراء ، ط2 (الموصل، 1985) ص71 .

[127] سورة آل عمران ، الاية 137 .

[128] سورة البقرة ، الاية 164 .

[129] سورة يونس ، الاية 5 .

[130] زيدان ، عبد الكريم : السنن الالهية ، ص23 .

[131] سورة فاطر ، الاية 43 .

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...)) [132] .

وقد جعل لهذا الانسان سبلاً وشرائع ومناهج ليسير عليها وفق السنن الالهية والنواميس التي تحدد حركته . قال تعالى :

((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) [133] .

ومما تقدم واسترشاداً برؤية الكافيجي (ت879هـ/1474م) للتاريخ التي يعدُّ التاريخ فيها ((من جملة العلوم النافعة في المبدأ والمعاد وما بينهما)) [134] من خلال ذلك سنحاول الاشارة الى دور الانسان بين المبدأ والمعاد ، وسيرته كفرد وكمجتمع من خلال القصص القرآني للاستدلال على القيمة القرآنية لهذه القصص واهميتها بالنسبة للجماعات والافراد في استجابتهم لرسل الله وفي العمل بهديهم الذي يمثل الصراط المستقيم الذي امر الله به والصراع بين الخير والشر والمصير الذي آلت اليه مجتمعات الظلم والحكمة الالهية في ذلك .

اذ ان خلافة الله سبحانه على الارض التي تحملها الانسان لم تكن لاعتبار الانسان مجرد كائن حي بل كانت له منزلة رفيعة ميزته عن غيره وهو بذلك يمتلك الحق في استخدام كل شيء في هذا العالم [135] .

قال تعالى :

((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)) [136] . وقوله جل من قائل :

---

[132] سورة البقرة ، الاية 30 .

[133] سورة المائدة ، الاية 48 .

[134] الكافيجي ، محي الدين بن سليمان (ت 879هـ/1474م) : المختصر في علم التاريخ ، مطبوع مع كتاب روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، مكتبة المثنى (بغداد ، 1963) ص325 .

[135] صديقي ،عبد الحميد : تفسير التاريخ ، ترجمة د. كاظم الجوادي ، دار العلم (الكويت، 1969) ص132 .

[136] سورة الاسراء ، الاية 70 .

((وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [137] .

قوله تعالى :

((وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ)) [138] .

وقوله تعالى :

((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) [139] .

ان حق الانسان في استخدام كل شيء في هذا العالم وحريته لم يكونا مطلقين بل محددين بقواعد الهية حددت له سلوك الطريق السوي طريق الخير بعد ان وضحت له نهاية الطريق المعاكس ، لذا فعليه ان يبرهن بسلوكه الواعي المبني على تحمل المسؤولية من الله سبحانه مباشرة وبذلك فان الحياة الاخرة عند المسلمين لم تكن مرهونة بقوم دون اخرين وليست مرهونة بالخلاص من الخطيئة كما مر بنا عند عرض مواقف الديانتين اليهودية والمسيحية من التاريخ بل مرهونة بالعمل الصالح الذي يقوم به الانسان على الارض .

قال تعالى :

((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ....)) [140] .

وقوله تعالى :

((وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)) [141] .

وقال جل من قال :

((إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)) [142] .

---

[137] سورة الانعام ، الاية 48 .

[138] سورة الاعراف ، الاية 10 .

[139] سورة الاعراف ، الاية 32 .

[140] سورة البقرة ، الاية 25 .

[141] سورة الاحقاف ، الاية 19 .

[142] سورة الانسان ، الاية 3،2.

ان هذه الحياة القصيرة نوع من الثقة المقدسة وضعها الله في الانسان افراداً و جماعات ، ليبرهن الانسان على انه امين في استعمال هذه الثقة [143] .

قال تعالى:

((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)) [144] .

وكما هي سنة الله سبحانه في الافراد فان القص القرآني يعطينا رؤية تاريخية تبين الدوافع في نشوء الامم وافولها والاسباب في هذا النشوء والارتقاء والافول اذ ان ((يد الله تتحرك حركة دائمة الى الامام والى الخلف بمقتضى قانون فتخرج الى النور الامم الجديدة وتطمس الاخرى في الظلمات . ولأرتقاء الامم وانهيارها قوانين ، ولم يترك شيء ليد مشيئة عمياء)) [145] .

قال تعالى :

((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [146] .

وقال جل من قال :

((وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) [147] .

ان خلاصة الدرس التاريخي والانساني الذي اكده لنا القرآن الكريم هنا مفاده ان الامم التي ترتفع فتبلغ اوج التقدم والرفاه الاقتصادي انما ترتفع بعد ان تنمي في انفسها صفات خاصة ، اما الامم الاخرى التي زحزحت عن منزلتها المرموقة الى مكان مغمور فانما اصابت هذا الحظ لان فيها مواضع ضعف نخرت بنيان مجتمعها

---

[143] صديقي ، عبد الحميد : تفسير التاريخ ، ص137 .

[144] سورة الانعام ،الاية 165 .

[145] صديقي ، عبد الحميد : تفسير التاريخ ، ص140 .

[146] سورة آل عمران ، الاية 26 .

[147] سورة يونس ، الاية 13 ، 14 .

وقوى الحياة فيه .. ومن ينظر نظرة سطحية الى هذا الانهيار يرى انه نتج عن هجوم خارجي، او عن خيانة بعض رؤسائها . اما الحقيقة فهي ان التدهور نتيجة فساد بطيء وانحطاط لا يشعر بها المرء ، وهما فساد وانحطاط يتجليان في كل جوانب حياة الامة [148] .

قال تعالى :

((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) [149] .

وقوله جل من قال :

((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا)) [150] .

ومما تقدم نجد ((ان الاسلام دين يعد التاريخ اساسا في عقيدته ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الانسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرها ... ويؤكد باستمرار على المسلمين بان ينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، وينظروا الى مصائر الامم)) [151] .

كذلك تأكيد القرآن الكريم ان ((العامل الاكبر في تقرير مصير الافراد والامم والدول هو الايمان المتصل صلة وثيقة بالاخلاق ، فالاخلاق هي القانون الذي يُسير البشرية ، ففيه تسعد البشرية ويزدهر المجتمع ، او تشقى وتتفكك ، الاخلاق والسلوك المتصل بالمثل العليا)) [152] .

والآيات آلاتية سترينا بوضوح على ان القصص القراني ليس مجرد ((قصص يُروى عن الايام الغابرة ،وانما هو تحذير من المهاوي الواقعة في طريقنا)) [153] .

[148] ينظر : صديقي ، عبد الحميد : تفسير التاريخ ، ص140 .

[149] سورة الانفال ، الاية 53 .

[150] سورة الروم ، الاية 9 .

[151] الدوري ، عبد العزيز واخرون : تفسير التاريخ ، ص18 .

[152] الدوري ، عبد العزيز واخرون : تفسير التاريخ ، ص18-19 .

[153] صديقي ، عبد الحميد : تفسير التاريخ ، ص146 .

اذ يخبرنا القرآن الكريم في قصة نوح عليه السلام [154] ان قومه لم يستجيبوا لدعوته اذ يقول الله سبحانه في محكم كتابه :

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)) [155] .

وقوله جل من قال :

((قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً)) [156] .

قال تعالى :

((مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً)) [157] .

وعن عاد قوم هود عليه السلام [158] يخبرنا الله جل وعلا:

((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) [159] .

وقال تعالى :

((فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ)) [160] .

---

[154] ينظر : ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل (ت 774هـ/1372م) : قصص الانبياء مطبعة الوسام (بغداد، 1983) ص61-92 .

[155] سورة هود ، الاية 25-27 .

[156] سورة نوح ، الاية 21 .

[157] سورة نوح ، الاية 25 .

[158] ينظر : ابن كثير : قصص الانبياء ، ص94-112 .

[159] سورة الاعراف ، الاية ، 65 ، 66 .

[160] سورة فصلت ، الاية 15 ، 16 .

وفي قصة نبي الله صالح عليه السلام [161] نجد ذات الدوافع والميول تتحكم في البشر الذين بعث اليهم . قال تعالى :

((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)) [162] .

وفي قصة ابراهيم عليه السلام تتجسد لنا الرؤية التاريخية من خلال دعوته للوحدانية وهجرته لاكثر من مكان على الارض وصراعه مع طاغية عصره (النمرود) وارتباطه باكثر الاحداث التي توالت بعد عصره وبناءه بيت الله الحرام رمز الوحدانية على الارض ، ومحاولة اليهود الانتساب اليه [163] .

قال تعالى :

((وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ

---

[161] ينظر : ابن كثير : قصص الانبياء ، ص112–127 .

[162] سورة الاعراف ،الاية 73–79 .

[163] ينظر : ابن كثير : قصص الانبياء ، ص128–191 ؛ سوسه ، د. احمد : العرب اليهود في التاريخ ، ص117 ، 232 –239 ، 250–265 ؛ الكيلاني ، رعد شمس الدين محي الدين : الانبياء في العراق ...، (اطروحة دكتوراه ، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا ، بغداد ، 1997) ص166–242 .

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))[164].

وقوله تعالى :

((وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ)) [165] .

وفي قصة نبي الله شعيب [166] نجد ان الله سبحانه يخبرنا بان هنالك اسبابا مادية الى جانب الشرك بعبادة الله سبحانه تدعو الخالق لان يبطش بالامم مثل الفساد في الارض بعد اصلاحها وعدم الايفاء في معاملاتهم الاقتصادية .. النواحي التي كانت في العصر الحديث تمثل محاور اساسية قامت على اساسها نظريات شغلت المفكرين سنوات طوالاً وكان الله سبحانه قد اوجزها في محكم كتابة بايات قلائل لو تدارسها المسلمون وتوسعوا في دراستها لوجدوا في دراستها ((دروسا تفيدنا غير قليل في الازمة التي نلاقيها اليوم)) [167] .

وقوله تعالى :

((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)) [168] .

وقوله تعالى :

---

[164] سورة العنكبوت ، الاية 16-24 .

[165] سورة العنكبوت ، الاية 31 .

[166] ينظر : ابن كثير : قصص الانبياء ، ص205-218 .

[167] الدوري ، د. عبد العزيز واخرون : تفسير التاريخ ، ص19 .

[168] سورة الاعراف ، الاية 85،86 .

((وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ . فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)) (169) .

ويخبرنا الله سبحانه عن اقوام كثيرة (170) كفرت باحكام الله وشرائعه وسنته فجعلها مثلا .

قال تعالى :

((وَعَاداً وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً وَكُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً)) (171) .

وقوله جل من قال :

((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ . وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ)) (172) .

وفي قصة يونس عليه السلام (173) نجد ان ارادة الله سبحانه ترينا رحمته بالامم فيما لو فاقت واسترشدت من الضلالة ولو بعد حين ، اذ نجد وعلى خلاف مما وجدناه في امم سابقة ان الله تعالى قد غفر لقوم يونس عليه السلام ولم يخسف بهم في حياتهم الدنيا وفي ذلك ذكر وعظه .

قال تعالى :

((فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)) (174) .

ان تعاقب الامم وتدافعها لم يكن خيارا انسانيا محددا بسلوك بشري بل هو حكمه الهية ترتبط بالخلق الاول وتنازع ابني ادم عليه السلام .

قال تعالى :

---

(169) سورة الاعراف ، الاية 90-93 .

(170) ينظر : ابن كثير : قصص الانبياء ، ص378-381 .

(171) سورة الفرقان ، الاية 38،39 .

(172) سورة ق ، الاية 12-14 .

(173) ينظر : ابن كثير : قصص الانبياء ، ص286-295 .

(174) سورة يونس ، الاية 98 .

((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (175) .

اذ ان في هذا التنازع والتدافع والتبدل سنة الهية تجعل من التاريخ حالة متحركة فكما هو الكون في طبيعة حركته والايام في تواليا فهي متشابهة من حيث توالي الليل والنهار ولكنها مختلفة من حيث التبدلات المناخية والظواهر الطبيعية فكل يوم يحمل في ساعاته سعادة وشقاء وهدماً وبناء فنحن نجد امطارا تنبت الزرع هنا وزلزالا مدمرا هناك .

قال تعالى :

((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)) (176) . وقوله جل من قال :

((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)) (177) .

ومما تقدم نجد ان القصص القرآني لم يكن بعيدا عن الرؤية التاريخية فلو لم يكن من هدف اليه ، فما الحكمة من الاسهاب فيه وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب البليغة ان قراءة متمعنة لكتاب الله تثير الفكر الانساني وتجعله يطّلع على الماضي ببصيرة نافذة توحي بالثقة وتجعله يسير على طريق الرشاد المؤدي الى سعادة الدنيا والاخرة وعلى الرغم من ايماننا العميق بالتفسير الديني للقصص القرآني الا اننا نلاحظ ان كثيرا من هذا القصص كان زاخرا بالدرس التاريخي وربما تنبأ بالنهايات التاريخية لكثير من الوقائع فقصة نوح عليه السلام على الرغم من سردها المقتضب لكن كثيرا من الاثار المكتشفة والدراسات التاريخية تؤكد وقوعها وهي لم تكن درسا دينيا اخلاقيا فقط، وانهيار سد مأرب كان حادثا تاريخيا حقيقيا ولم يكن

---

(175) سورة المائدة ، الاية 27-30 .

(176) سورة البقرة ، الاية 251 .

(177) سورة الحج ، الاية 40 .

سرداً قصصياً يحمل عضة دينية فقط وكانت قصة يوسف بدلالاتها الاخلاقية واقعة تاريخية حصلت في حقبة من الحقب التاريخية في مصر .

يكمن سر اللقاء بين الفلسفة والفكر التاريخي عند العرب المسلمين من خلال دراسة الفلاسفة والمؤرخين للكل المطلق من خلال بحوثهم في الوجود والشريعة والمجتمع والحكام برؤية مزجت بين العقل والشرع ، اذ ان ((التاريخ لا يبلغ السببية الاصلية للوجود والحدث ، فوجود الانسان على الارض ، والاحداث المتصلة بوجوده خارج نطاق التاريخ ... والفلسفة وحدها تتناول في المبادئ وهي التي تبني التاريخ وتربط اجزاءه وبدونها لا يكون للتاريخ وجود)) [1] .

وهنا يكون اللقاء بين التاريخ والفلسفة اذ انه ((يبحث عن اسباب تسلسل الظواهر ويحاول ربطها وتعليلها تعليلاً يقبل به العقل)) [2] . اذ ((ان التاريخ البشري لا يتحرك فوضى ، او على غير هدف وانما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون ، والعالم والحياة والاشياء ، سواء بسوء .. ان الوقائع التاريخية لا تختلق بالصدفة وانما من خلال شروط خاصة تمنحها هذه الصفة او تلك وتوجهها صوب هذا المصير او ذاك)) [3] .

ان محاولة الوصول الى فهم لكيفية حدوث الوقائع التاريخية من قبل المؤرخين ، دعاهم الى النفاذ الى ما وراء الواقعة من خلال استكشاف الفكر الذي ادى الى ما هية حدوثها ومن ثم البحث عن الاسباب [4] .

وقد تطور هذا الفهم في العصر الحديث الى نوع من ((المعالجة التأملية للوقائع التاريخية التفصيلية ، لذا فهي تتبع الميتافيزيقا وليس نظرية المعرفة)) [5] فقط .

من ذلك يتبين لنا اهمية الفلسفة في دراسة التاريخ إذ ان الكون وسننه ونواميسه وكذلك الحياة والاشياء كلها كانت مثار اهتمام الفلاسفة على مر الدهور .

---

[1] هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص103 .

[2] هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص97 .

[3] خليل، د. عماد الدين : حوار في المعمار الكوني ، ص172 .

[4] ينظر : وولش ، و .هـ. : مدخل لفلسفة التاريخ ، ترجمة احمد حمدي محمود ، مؤسسة سجل العرب (القاهرة ، 1962) ، ص68 .

[5] وولش ، و.هـ. : مدخل لفلسفة التاريخ ، ص162 .

الفلسفة :

لفظ منحوت من كلمتين يونانيتين الاولى (فيلو) والثانية (سوفيا) ، اما (فيلو) فتعني في اللغة اليونانية (حب) واما (سوفيا) فتعني في نفس اللغة (حكمة) وهما بذلك تعنيان (حب الحكمة) [6] .

((واول تصنيف لموضوعات الفلسفة نجده عند افلاطون وكرينوقراط فعند هذا الاخير نجد الفلسفة تتألف من :

1- نظرية المعرفة وضمنها المنطق (الديالكتيك) .
2- الفلسفة الطبيعية وضمنها الفيزياء (الفيزك) .
3- الفلسفة الاخلاقية (الاتيك) [7] .

وتتميز الفلسفة عند افلاطون عن علوم الرياضة من ناحية والتاريخ من ناحية اخرى ، وعن الدين والفلسفة فقد بدأ التميز عند متفلسفة المسيحية والاسلام وعن العلوم الطبيعية فقد بدأ فصل الفلسفة خلال القرون الاخيرة [8] .

((اما ارسطو فقد عرّف الفلسفة على انها (تفسير) الاشياء باسبابها او بعللها والتي يحددها باربعة : عله فاعلة حيث ان لكل فعل فاعل ، وعلة غائيه حيث ان لكل فعل غاية، وعلة مادية وعلة صورية لانه ليس ثمة مادة الا على صورة معينة ، والفلسفة عنده اذاً معرفة بهذه العلل وتفسير الاشياء والموجودات وفقا لها ، وهذا يتطلب تجاوز المباشر والجزئي الى الكلي)) [9] .

---

[6] الشماع ، صالح : مشكلات الفلسفة ، شركة الطبع والنشر الاهلية (بغداد ، 1960) ، ص9 ؛ بو دبوس ، رجب : ما الفلسفة ، الدار الجماهيرية (الجماهيرية الليبية ، 1994) ، ص31.

[7] الشماع ، صالح : مشكلات الفلسفة ، ص9 .

[8] ينظر : الشماع ، صالح : مشكلات الفلسفة ، ص9-10 .

[9] بو دبوس ، رجب : ما الفلسفة ، ص51 .

وقد تناول بعض علماء المسلمين الفلسفة على انها ((علم حقائق الاشياء والعمل بما هو اصلح)) [10] حسبما يراها الخوارزمي في حين ان ابن خلدون يعلل لنا سيرة اهل الفلسفة الأوُّل موضحا رؤيتهم للفلسفة بقوله [11] :

((ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله ، الحسي منه وما وراء الحسي ، تدرك ذواته واحواله باسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسه العقلية ... وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف، وهو باللسان اليوناني محب الحكمة ... وإمام هذه المذاهب الذي حصَّل مسائلها ودون علمها وسطر حجاجها فيما بلغنا هو ارسطو المقدوني من اهل مقدونية من بلاد الروم)) .

ان الفلاسفة في الازمنة كلها وفي جميع الامم اهتموا بالمشكلات نفسها لكن هذه المشكلات تكتسب حلولا جديدة في كل حقبة تاريخية طبقا لمستوى المعرفة الذي تم انجازه وفقا للتغيير الاجتماعي الحاصل [12] .

حتى غدت الفلسفة علماً يتناول الانسان من كل الجوانب وفي نفس الوقت كوحدة ضمن مكونات في علاقة جدلية ومحاولة فهم هذه العلاقة حية دون تجزئتها حيث تفقد عند التجزئة خاصية اساسية .

ان الكل ليس مجرد مجموع الاجزاء ، وهذا بالضبط ما يجعل العلوم غير قادرة على مثل هذا التناول [13] .

ومما تقدم نلاحظ ان الفلسفة تلتقي بالتاريخ اذ لابد للفلسفة من تاريخ ولا بد للتاريخ من فلسفة فكانت فلسفة التاريخ التي تبحث في علل وسببيه وقوع الحوادث وليس السببية النهائية .

---

[10] الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص79–80 .

[11] ابن خلدون : المقدمة ، ص296–297 .

[12] ينظر : بو دبوس، رجب : ما الفلسفة ، ص61 ؛ ينظر : هو تون ، هكتور: متعة الفلسفة، ترجمة يعقوب يوسف ابونا ، بيت الحكمة (بغداد ، 2002) ، ص11 .

[13] ينظر: بو دبوس، رجب: ما الفلسفة ، ص53–54 ؛ الشماع، صالح: مشكلات الفلسفة ، ص10 .

ان الرؤية التاريخية المستندة الى تحليل الظواهر التاريخية تستند الى قاعدة الابحاث العلمية ، المبنية على ثبات السنن الطبيعية [14] .

اذ تنطبق بنوع خاص على التاريخ وتقود المؤرخ الى التسليم بوحدة الطبيعة البشرية بالرغم من اختلاف الاحوال والثقافات [15] .

وقد وصلت فلسفة الاغريق الى المسلمين عن طريق مراكز الفكر في الاسكندرية او انطاكية او الرها ، ونصيبين ، وحران ، وقنسرين ، وجنديسابور ، اذ كانت هذه المحطات مراكز انتقلت اليها الفلسفة الاغريقية بعد مجيء المسيحية ، اذ كانت اللغة اليونانية تُدرَّس الى جانب اللغة السريانية في كنائس هذه المدن وتتناول علم اللاهوت الى جانب المعارف اليونانية وبعض المواضيع الفلسفية والطبية ، مما ساعد الطلاب من رجال الدين وغيرهم على التعرف الى بعض كتب حكماء اليونان القدامى مثل ، ابقراط ، وجالينوس، وسقراط وبذلك انتشرت الاراء والافكار الفلسفية بينهم ، وظهرت بوادر حركة علمية استمرت بعد الفتح العربي الاسلامي وهذا ما جعل السريان من ابناء المدن المذكورة من اوائل الذين نقلوا كثيرا من معارف اليونان وفلسفتهم الى اللغة العربية [16] .

((ان مجيء الاسلام ، ثم قيام دولة واسعة الارجاء ، واتصال العرب بغيرهم اتصالا بعيد الامداء ، كانت البواعث على نشاط فكري شامل ، في العلم والفلسفة ، والتاريخ ، والجغرافية ، والاداب وغيرها)) [17] .

ولعل ابرز مظاهر هذا النشاط هذا التطور الكبير في حياة الانسان في هذه المنطقة وتكوينه في كل الاتجاهات ، فمتى كان التطور الانساني ، كان النشاط الفكري [18] .

---

[14] ينظر : هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص92 .

[15] ينظر : هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص92 .

[16] ينظر : الجندي، انعام : دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ، مؤسسة الشرق الاوسط للطباعة والنشر (بيروت ، لا ت) ، ص15 ؛ عبد الباقي ، احمد: معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، 1991) ، ص494 ؛ محفوظ ، د. حسين علي: كتابة تاريخ الفلسفة العربية المعاصرة (بحث منشور في المؤتمر الفلسفي العربي الثالث ، بيت الحكمة بغداد ، 2002) ص25 .

[17] الجندي ، انعام : دراسات في الفلسفة ، ص9.

[18] ينظر : الجندي ، انعام : دراسات في الفلسفة ، ص9 .

لم يكن نقل العرب المسلمين لعلوم الامم القديمة منها ، والداخلة للاسلام حديثا نقلا حرفيا حسب ، بل انهم ((ناقشوا ما نقلوه وأكملوه ، وتوسعوا فيه، وابتدعوا علوما لم تعرف على اسس علمية من قبل، ووضعوا المؤلفات الضخمة في كل ذلك، فكان منهم العالم، والفيلسوف، والمفكر الاجتماعي، والعالم الجغرافي، والمؤرخ الخ...)) [19] .

ان هذه القدرة العلمية لدى العرب المسلمين والقادرة على استيعاب وتطوير معارف الامم لم تكن لتأتي من لاشيء بل كانت تستند على الفكر العربي الاسلامي ومقوماته الرئيسية المتمثلة بارث العرب لما قبل الاسلام والقران الكريم والسنة النبوية الشريفة بعد ذلك، اذ كان تطور الفكر العربي الاسلامي تطورا عقليا واضح المعالم مستندا على اسس تاريخية تمتد بامتداد الزمان فنحن اذا نظرنا عصر ابراهيم الخليل عليه السلام كحلقه من حلقات التطور الانساني ، نجد ان نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام عندما حاجج قومه حول عبادة الاصنام لم يكن له من معيار في تلك المحاججة غير العقل .

قال تعال :

((وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ)) [20] .

وكذلك تاملاته في الكون والخالق الوجود اذ عرض ذلك كله على العقل الذي سار به الى الوحدانية .

قال تعالى :

((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)) [21] .

---

[19] الجندي ، انعام : دراسات في الفلسفة ، ص11 .

[20] سورة الانعام ، الاية 80 .

[21] سورة الانعام ، الاية ، 76-77 .

وصولا الى زمان الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذ تلتقي دعوته مع ابي الانبياء في الوحدانية ونبذ الشرك فقد وجد مشركوا قريش ان لا سبيل لديهم لتكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان حاججهم بالعقل والبلاغة فقد كانوا يسمونه بالصادق الامين ولم يجدوا عليه قولا سوى انه ساحر .

قال تعالى :

((وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً)) [22] .

من اهم ما نستشهد به على استخدام العقل حجة عند المسلمين وصولا لليقين محاججة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه مع النجاشي ملك الحبشة ووفد قريش اثناء اقامة بعض من المسلمين الاوائل في الحبشة [23] .

ومن ثم محاججة المهاجرين للانصار في خطب يوم السقيفة فيما كان من شأن الخلافة [24] وماتلاه من محاججة آل البيت للمهاجرين بشأنها [25] .

ولم يكن الخطاب العقلي الفلسفي غائبا عن العرب المسلمين خلال العهد الراشدي في كل ما عرض لهم من المشكلات ، وفي استشهاداتهم في خطبهم وغيرها .

ومن عظيم ما جاء على لسان سيد البلاغة الامام علي عليه السلام مستلهماً دعوة القرآن الكريم للتدبر في الوجود اذ يفتتح احدى خطبه بالقول :

---

[22] سورة الفرقان الاية ، 7-8 ؛ ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ج1 ، ص306-307 .

[23] ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ج1 ، ص372-375 .

[24] ينظر : ابن هشام: السيرة النبوية ، ج4 ، ص314-318 .

[25] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص307-308 .

((الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ، ولا تحويه المشاهد ، ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر ؛ الدال على قدمه بحدوث خلقه ، وبحدوث خلقه على وجوده ، وباشتباههم على ان لاشبه له)) [26] .

وها هو يدعو لاتخاذ العقل دليلا للأيمان اذ يقول : ((ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ، ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة ، لدقيق تفصيل كل شيء ، وغامض اختلاف كل حي)) [27] .

ومما تقدم نجد ان الفكر العربي الاسلامي الذي جعل القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منارا له لم يكن قاصرا في تناول الكل وعرض الشواهد الدالة فلو عرضنا ما كتب في القرون السابقة واللاحقة في الفلسفة نجد ان العرب المسلمين لم يتخلفوا في التدبر والقدرة على التأويل والتفسير ، بيد اننا لا نستطيع ان نهمل ما حصلت عليه الفلسفة العربية من انتقاله بعد ان تأثرت مثلها مثل غيرها من مفاصل الفكر الاسلامي بالاحداث والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية خلال العهدين الاموي والعباسي، اذ ادت الى نشؤ فرق ومذاهب متعددة اسهمت كثيراً في المحاججات العقلية ، وما نشؤ علم الكلام والاعتزال والتصوف ومن بعدهما الفلسفة الا نتاج لتلك التطورات ، اذ امتزجت رؤى المؤرخين والفلاسفة حيث ان ((من يتعاطى التاريخ يضع نصب عينيه مبدأ فلسفيا يقرر ان مجرى التاريخ البشري عقلا يقود الجماعات وان عقلنا يستطيع دراسة علل الحوادث وان يصيب بعض التوفيق ، لما بين عقلنا والنشاطات البشرية من التوافق)) [28] .

فاذا كانت الفلسفة تعتمد النشاط العقلي في قانون السببية وعلل الحوادث الكونية والتاريخ يعتمد السببية في تعليل الحوادث فهو جزء من كل، فها هو المؤرخ العربي الاسلامي المسعودي الذي عُرف عنه جغرافيا ومؤرخا يقول : ((ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر لبطل اول العلم ، وضاع اخره ؛ اذ كان كل علم

---

[26] ابن ابي الحديد ، ابو عبد الحميد بن هبة الله (ت 656هـ / 1258م) : شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي (مصر ، 1961) ج13 ، ص44 .

[27] ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج13 ، ص56 .

[28] ينظر : هورس ، جوزف : قيمة التاريخ ، ص90 .

من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستشار والفصاحة منها تستفاد ، واصحاب القياس عليها يبنون ،واهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ ، وامثال الحكماء فيها توجد ، ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس واداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس ، وكل غريبة منها تعرف ، وكل عجيبة منها تستطرف)) [29] .

ومن ذلك نجد ان نقلة نوعية قد شهدها علم التدوين العربي خلال القرن الرابع الهجري / العاشرالميلادي ونجد ذلك واضحا عند مسكويه وغيره من المؤرخين والفلاسفة وكما سيأتي ذكره ، اذ تأثر هؤلاء في سردهم التاريخي وتحليلاتهم بالظاهرة الشمولية للحدث والتي لا تخلو من جهد او مرجعية فلسفية ومن ذلك نجد ان اغلب رجال الفكر من العرب المسلمين قد عملوا على ((التوفيق بين العقل والشرع، او بين الوحي والفلسفة وهو الشكل الذي اتخذه خطاب الفلسفة الثقافي في حضارتنا العربية الاسلامية)) [30] .

فقد كانت العلاقة بين الدين والفلسفة حاضرة عند الكندي والبلخي والفارابي فضلا عن اخوان الصفا ، اذ تناول هؤلاء هذه المسالة من زاوية انه لا تعارض بين الدين والفلسفة ، وان الحقيقة الدينية هي نفسها الحقيقة الفلسفية وان اختلفت طريقة التعبير عنها في الدين عنها في الفلسفة [31] .

ومما تقدم يمكن القول ان الاهتمام بالدين والعقل عند العرب المسلمين كان مستمرا خلال كل المراحل التي مر بها تطورهم الفكري وصولا الى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي اذ بدأت اهتمامات العرب المسلمين بالفلسفة تتوضح حسبما تمت الاشارة اليه فكانت مجالات الفلسفة مدعاة للتامل والمعالجة على حد سواء عند اهل الفكر، وبذلك لم يكن الفكر

---

[29] المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص67 .

[30] الموسوي ، محمد جواد حسن : الفلسفة العربية المعاصرة وتطلعات الانسان العربي (بحث منشور في المؤتمر الفلسفي العربي الثالث ، بيت الحكمة ، بغداد ، 2002) ص89 .

[31] ينظر : المحاسبي ، ابو عبد الله الحارث بن اسد (ت 243هـ/857م) : رسالة المسترشدين، تحقيق عبد الفتاح ابو رغدة ، المطبوعات الاسلامية ، (حلب ، 1964) ، ص38-41 ؛ الجابري، محمد عابد : المثقفون في الحضارة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط2 (بيروت ، 2000) ص60 ؛ الجابري محمد عابد : تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط7 (بيروت، 1998) ص236-237 ؛ اراكون ، د. محمد : الفكر الاسلامي (نقد واجتهاد) ترجمة وتعليق هاشم الشماع ، دار الساقي ، ط3 (بيروت، 1998) ص222 ؛ عمر ، فائز طه : ملامح الادب الفلسفي في النثر العربي (بحث منشور في مجلة اداب المستنصرية، بغداد ، العدد 13 لسنة 1986) ص195 .

السياسي والتاريخي الذي شهده العرب المسلمون خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين ، الا نتاجا للممازجة بين الفلسفة والتاريخ وهذا ما سيتوضح لنا خلال البحث الاتي اذا ان دراسة اخوان الصفا ، والفارابي، والغزالي نماذجاً لذلك سترينا بوضوح رؤيتهم التي مزجت بين الفلسفة والتاريخ في طروحاتهم لمعالجة الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المتردي الذي كان سائدا في المجتمع العربي آنذاك .

اخوان الصفا وخلان الوفا [32]

مجموعة من الحكماء أسسوا هذه الجماعة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي [33] اذ جاءت فكرة التأسيس كرد فعل لتدهور احوال الخلافة العباسية تحت ظل سيطرة العسكر التركي، وما واكب ذلك من اندلاع ثورات اجتماعية ومذهبية قمعت بعنف، اضافة لذلك التناقض الذي شهده عامة المسلمين ، وسيادة النعرات العصبية والدينية ، والفساد والظلم وتسارع الناس الى المال والجاه والمجون وانتشار الضائقة الاقتصادية في بلدان المسلمين ، وسوء نظام الحكم ، وتفاقم المشاكل الاجتماعية [34] .

كل هذه العوامل والاسباب كان لها الاثر الفعال في قيام هذه الجماعة ودعوتها لصلاح الدين والدنيا بتسخير كل ملكاتها العقلية والروحية وذلك بدعوتها الى الفضيلة والتمسك بأمور الدين الصحيح وجوهر القرآن وفق منطلقات شرعية اسلامية بين جميع الطوائف والطبقات والمذاهب والاديان التي تمثل المجتمع العربي الاسلامي انذاك منطلقين من عالمية الرسالة الاسلامية [35] .

وهكذا فقد جاءت دعوتهم منطلقة من اسس تتمثل بالاتي :

---

[32] ينظر : اخوان الصفا وخلان الوفا : رسائل اخوان الصفا، تصحيح خير الدين الزركلي، المطبعة العربية (مصر، 1928) ؛ ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت حوالي 413هـ/1023م) : المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية (مصر، 1929) ، ص45–51 ؛ ابو حيان التوحيدي : كتاب الامتاع والمؤانسة ، تحقيق احمد امين واحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط2 (مصر، لا ت) ص3–15 ؛ البيهقي ، ظهير الدين (ت 565هـ/1169م) : تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق محمد كرد على ، مطبعة الترقي (دمشق، 1946) ص35–36 ؛ ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم (ت 668هـ/1270م) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، مكتبة دار الحياة (بيروت، 1965) ص484 –485 .

[33] ينظر : اسماعيل ، د. محمود : نهاية اسطورة ، دار قباء (القاهرة، 2000) ص22 .

[34] ينظر: غالب ، د. مصطفى: اخوان الصفا وخلان الوفا ، منشورات مكتبة الهلال (بيروت، 1982) ص8 .

[35] ينظر : اسماعيل ، د. محمود : نهاية اسطورة ، ص8–9 ؛ الجندي ، انعام : دراسات في الفلسفة، ص239–252 ؛ غالب ، د. مصطفى ، اخوان الصفا ، ص8–10 .

((واعلم يا اخي ان دولة اهل الخير يبدأ اولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء يجتمعون على راي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا ان لا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصره بعضهم بعض ويكونون كرجل واحد في جميع امورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصره الدين وطلب الاخرة لا يبتغون سوى وجه الله ورضوانه جزاء ولا شكورا)) (36) .

وعن القدرة العقلية الفذة لاخوان الصفا يحدثنا ابو حيان التوحيدي مجيبا عن سؤال لوزير لصمصام الدولة بن عضد الدولة في حدود سنة (373هـ) عندما سأله عن زيد بن رفاعة احد اعضاء هذه الجماعة اذ يقول : هناك ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ومتسع من قول النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة ، وحفظ ايام العرب ، وسماع المقالات وتبصر في الاراء والديانات ، وتصرف في كل فن : اما بالشد الموهم واما بالتوسط المفهم، واما بالتناهي المفحم (37) .

ومن يقرأ هذا النص يجد الفكر التاريخي العربي الاسلامي حاضرا من خلال التراث الادبي وايام العرب ممزوجاً بفكر العصر المتمثل بالمقالات على اختلاف نحلها ومذاهبها وهذا ما سيتوضح لنا لاحقا ومن ثم يستطرد ابو حيان التوحيدي باجابته على السؤال الاول اذ يقول بعد ان يُسأل عن مذهب زيد بن رفاعه :

((لا ينتسب الى شيء ، ولا يعرف برهط ، لجيشانه في كل شيء وعليانه في كل باب ... وقد اقام بالبصرة زمانا طويلا ، وصادق بها جماعة لاصناف العلم وانواع الصناعة منهم ابو سليمان محمد بن معشر البستي (ويعرف بالمقدسي) وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وابو احمد المهرجاني ، والعوفي ، وغيرهم ، فصحبهم وخدمهم وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة ، وتصادفت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله)) (38) .

---

(36) اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص131 .

(37) ينظر : ابو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص45–46 .

(38) ابو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص46 ؛ البيهقي ، ظهير الدين : تاريخ حكماء الاسلام ، ص35–36 .

ويمضي متحدثا عن اهدافهم وبيان سبب اتخاذهم الفلسفة سبيلا لتحقيق غاياتهم فيقول :

((ذلك انهم قالوا ان الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، لانها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية. وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية ، فقد حصل الكمال [39] .

ثم يتحدث عن الرسائل فيقول :

((وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة ، علميها وعمليها ، وافردوا لها فهرساً وسموهاً ((رسائل اخوان الصفا)) وكتموا فيها اسماءهم ، وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس ، وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية ، والامثال الشرعية ، والحروف المحتملة ، والطرق المموهة ...)) [40] .

وقد انتظم في الحركة المستنيرون من سائر المذاهب والفرق ، كذلك رجال الدولة وكبار التجار والفقهاء والعلماء وارباب الاموال الذين راعهم التدهور السياسي والاقتصادي والفكري خلال ذلك العصر [41] .

وقد رمى اخوان الصفا الى النظر في الموجودات وعللها بقولهم : ((ان مذهب اخواننا ايدهم الله وايانا بروح منه هو النظر في جميع الموجودات والبحث عن مبادئها وعن علة وجدانها وعن مراتب نظامها والكشف عن كيفية ارتباط معلولاتها بعللها باذن باريها جل ثناءه)) [42] .

وقد اتخذت الجماعة من الاقرار بالتوحيد وتصديق الانبياء والرسل والكتب المنزلة، وحفظ الناموس وسياسة الناس وغرس الفضائل والمثل والقيم وانكار الظلم والجور اطاراً فكرياً وعملياً لحركتها [43] .

---

[39] ابو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص46 .

[40] ابو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص46 .

[41] ينظر : اخوان الصفا : الرسائل ، ج4 ، ص237 .

[42] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص110 .

[43] ينظر : اخوان الصفا : الرسائل ، ج3 ، ص178-179 .

وقد جعل اخوان الصفا العقل في محل الفيصل في تلقي المعارف و تقويمها اذ قالوا :

((من لم يرض بشرائط العقل وموجبات قضاياه فعقوبته في ذلك ان نخرج من صداقته ونبرء من ولايته)) [44] .

والعقل عندهم :

((خليفة الله الباطن فاذا ذهب العقل فلادين ولا علم ولا مروءة ولاحياء ولا مراقبة ومن عَدِمَ هذه الخصال كان موته صلاحا عاما)) [45] .

وهم يرون ان البراهين مقياس العقول ، وان اختلاف العلماء ، في الاراء والمذاهب ذو فوائد كثيرة أيقظت النفوس من نوم الجهالة ، ونبهتها من السهو والغفلة [46] .

ولأخوان الصفا رؤية حول قيام الملوك في الارض تنطلق من كون ((ملوك الارض خلفاء الله في ارضه ، خلفهم وملكهم بلاده وولاهم على عبادة ليعمروا بلاده ويسوسوا عباده ويحفظوا شرائع انبيائه بانفاذ احكامهم على عباده ، وحفظ نظامهم على احسن حالات ما يتأتى فيهم واتم غايات ما يمكنهم من البلوغ اليها وافضل نهايات ما يصلون اليها اما في الدنيا واما في الآخرة)) [47] .

ان رؤية اخوان الصفا هذه تنطلق من نظرة اسلامية للتاريخ تعتمد على ان الانسان خليفة الله في الارض وان من يتولى الملك عليه العمل بما نزلت به الشرائع لسياسة البلاد واعمار البلاد وصولا لتحقيق الحكمة الالهية وهذا لم يأت الا عن وعي متقدم ودراسة شاملة للتاريخ ، اذ ان الحوادث والوقائع التي تمثل جزأ هاما من التاريخ كانت عند اخوان الصفا وعند غيرهم من المؤرخين والفلاسفة الاساس الذي اعتمدوه لوضع المعالجات لمشاكل العصر بعد تبيان ما مر بالامم السالفة ، فلم تكن التجمعات البشرية الا امما وأقوام اجتمعت مكونة دولا كانت منها ما هي صالحة يقوم بصلاحها ملوك العدل واخرى ظالمة يقوم بظلمها ملوك الظلم

---

[44] اخوان الصفا : الرسائل ، ج3 ، ص181 .

[45] اخوان الصفا : الرسائل ، ج3 ، ص179 .

[46] ينظر : اخوان الصفا : الرسائل ، ج3 ، ص491 .

[47] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص98 .

، ذلك الذي ادى باخوان الصفا وغيرهم لطرح مشاريعهم لتكوين الدول وهنا تبرز اهمية استلهام التاريخ دروساً .

ان جماعة اخوان الصفا حشدوا كل امكانياتهم الفكرية والفلسفية لتشييد دولة اهل الخير ، ذات النظام الاجتماعي الروحاني السليم الهادف الى ايجاد مذهب اجتماعي ، واخوية فلسفية دينية اسلامية ، وتأليف كتله اسلامية قوية ، موحدة الاهداف والكلمة [48] .

وهم يرون ان امور هذه الدنيا ((دول ونوب تدور بين اهلها قرنا بعد قرن ومن امه الى امة ومن بلد الى بلد)) [49] .

وقولهم في هذا التناوب ايضا :

((واعلم بان كل دولة لها وقت منه تبتدي ، وغاية اليها ترتقي ، وحد اليه تنتهي فاذا بلغت الى اقصى غاياتها ومدى نهاياتها تسارع اليها الانحطاط والنقصان وبدا في اهلها الشؤم والخذلان واستأنف في الاخرين من القوة والنشاط والظهور والانبساط وجعل كل يوم يقوي هذا ويضعف ذاك وينقص الى ان يضمحل الاول المقدم ويستمكن الاتي المتأخر)) [50] .

وهاهم يستلهمون قوانين الكون مثالا لطروحاتهم حول الدول قيامها وافولها اذ يقولون عن مجاري واحكام الزمان : ((ان الزمان كله نصفان نصفه نهار مضيء ونصفه ليل مظلم وايضا نصفه صيف حار ونصفه شتاء بارد وهما يتداولان في مجيئهما وذهابهما كلما ذهب هذا رجع هذا وتارة يزيد هذا وينقص هذا وكلما نقص من احدهما زاد في الاخر بذلك المقدار حتى اذا تناهيا الى غايتهما في الزيادة والنقصان ابتدأ النقص في الذي تناهى في الزيادة وابتدأت الزيادة في الذي تناهى في النقصان فلا يزالان هكذا الى ان يتساويا في مقاديرهما)) [51] .

---

[48] ينظر : غالب د. مصطفى : اخوان الصفا ، ص190 .

[49] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص130 .

[50] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص130 .

[51] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص130 .

وهاهم ايضا يتحدثون عن زمانهم اذ يقولون ((انه قد تناهت دولة اهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت افعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي في الزيادة الا الانحطاط والنقصان)) [52] .

وان ((الدولة والملك ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقران من امه الى امه ومن اهل بيت الى اهل بيت ومن بلد الى بلد)) [53] .

ان الدولة بمفهومها التاريخي عند اخوان الصفا ترتكز من خلال طروحاتهم على الفرضيات التالية [54] :

1- ان اساسها تقوى الله كيلا ينهار بناؤها .

2- يتم تشييد بنائها على الصدق في الاقاويل والتصديق في الضمائر .

3- تتم اركانها على الوفاء والامانة كيما تدوم ويكون كمالها على الغرض من الغاية القصوى التي هي الخلود في النعيم .

ومدينتهم تقوم على اركان مهمة يسمونها مراتب اذ يقولون : ((واهل هذه المدينة على اربع مراتب : احداها مرتبة ارباب الاركان الاربعة ذوي الصنائع والثانية مرتبة ذوي الرياسات والثالثة مرتبة الملوك ذوي الامر والنهي والرابعة مرتبة الالهيين ذوي المشيئة والارادة)) [55] .

لقد استلهم اخوان الصفا الرؤية الالهية التي كرسها الدرس القرآني بكل معطياتها التاريخية وكذلك التاريخ العربي الاسلامي في كل معالجاتهم والتي جعلت من المعلومة قاعدة اساسية للمعالجة فهاهم يحدثوننا عن التاريخ وقيمته وان لم تُسمَّ الاشياء بمسمياتها اذ يقولون :

((واعلم يا اخي ان معلومات الانسان ثلاثة انواع فمنها ما كان وانقضى ومضى مع الزمان الماضي ومنها ما هو كائن موجود في الوقت الحاضر ومنها ما سيكون في الزمان المستقبل)) [56] .

---

[52] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص131 .

[53] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص131 .

[54] ينظر : اخوان الصفا : الرسائل ، ج4 ، ص171 .

[55] اخوان الصفا : الرسائل ، ج2 ، ص204 .

[56] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص106 .

وهذه نظرة عصرية لمسيرة الانسان عبر التاريخ .

ويحدد اخوان الصفا طرق تحصيل هذه المعلومات بقولهم :

((... وله – الانسان – الى هذه الانواع الثلاثة من المعلومات ثلاثة طرق احدها السماع والاخبار لما كان ومضى والاخر هو الاحساس لما هو حاضر موجود والثالث الاستدلال على ما هو كائن في المستقبل وهذا الطريق الثالث الطف الطرقات وأدقها)) [57] .

ومما تقدم يتبين لنا بأنهم انما يستلهمون من الماضي عظته لصلاح الحاضر واستشفاف مستقبلهم وتلك رؤية تاريخية مزجت بين التاريخ والفلسفة متقدمة قدم الفكر التاريخي عند العرب المسلمين .

ولهم في الكائنات رؤية تحليلية مزجت بين علم الفلك والتاريخ اذ يقولون :

((واعلم يا اخي ان الكائنات ... سبعة انواع فمنها الملك والدول التي يستدل عليها من القرانات الكبار التي تكون في كل الف سنة بالتقريب مرة واحدة ومنها ان تنتقل المملكة من امير الى امير ومن امة الى امة ومن بلد الى بلد ومن اهل بيت الى اهل بيت اخر وهي التي يستدل عليها وعلى حدوثها من القرانات التي تكون في كل مئتين واربعين سنة مرة واحدة ومنها تبدل الاشخاص على سرير الملك وما يحدث بأسباب ذلك من الحروب والفتن التي يُستدل عليها من القرانات التي تكون في كل عشرين سنة مرة واحدة، ومنها الحوادث والكائنات التي تحدث في كل سنة من الرخص والغلاء والجدب والخصب والحدثان والبلاء والوباء والموتان والقحط والامراض والاعلال والسلامة منها و يستدل على حدوثها من تحايل سني العالم التي تؤرخ بها التقاويم ومنها حوادث الايام شهراً شهراً ويوماً يوماً التي يستدل عليها من الاوقات والاجتماعات والاستقبالات التي تؤرخ بها في التقاويم)) [58] .

اما سبب الاهتمام بالكائنات والحوادث والفائدة من ذلك فتمثل بقولهم :

---

[57] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص106 .

[58] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص106–107 .

((واعلم يا اخي انه ليس في معرفة الكائنات قبل كونها صلاحاً لكل واحد من الناس ... وانما نظر الحكماء في هذا العلم وبحثهم عن هذه السرائر ليرضوا بذلك نفوسهم ويستعينوا بهذا العلم على الترقي الى ما هو اشرف منه واجل وذلك ان الانسان العاقل المحصل المستيقظ القلب اذا نظر في هذا العالم وبحث عن هذا السر وعن اسبابه وعلله واعتبرها بقلب سليم من حب الدنيا انتبهت نفسه من نوم الغفلة واستيقظت عن رقده الجهالة وانتعشت وانبعثت من موت الخطيئة وانفتحت لها عين البصيرة فأبصرت عند ذلك تصاريف الامور وعرفت حقائق الموجودات ورأت بعين اليقين الدار الاخرة وتحققت امر المعاد وعلمت عند ذلك بها ومن اجلها وتشوقت اليها وزهدت في الكون وفي الدنيا فعند ذلك تهون عليها مصائب الدنيا فلا تغتم ولا تجزع ولا تحزن ...)) [59] .

ولاندري ان كان اخوان الصفا قد تحدثوا عن الكائنات بعد دراسة مزجت بين التاريخ الذي ينقل الوقائع والحوادث عبر توالي الازمنة والفلسفة التي تبحث في الكل ، ام انها دراسة فلكية مزجوا فيها علم الفلك عندهم بالتاريخ .. ايا ما كان عملهم فانه يذكرنا هنا بدراسة توينبي (1889–1975م) التاريخية التي قامت على اساس دراسة تاريخ الحضارات وبيان ازمانها واسباب نشوئها وافولها [60] على الرغم من ان فرضياتهم في نشوء الامم والحضارات وانهيارها تختلف تبعا لاختلاف الظروف التاريخية والبيئية التي عاشوها .

---

[59] اخوان الصفا : الرسائل ، ج1 ، ص107 .

[60] ينظر : توينبي ، ارنولد : مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (مصر ، 1960) ؛ اشبنجلر ، اسوالد : تدهور الحضارة الغربية ، ج2 ، ص355–356.

الفارابي ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ (ت 339هـ/950م) [(61)] :

ولد في مدينة فاراب سنة (259هـ/872م) وفاراب مدينة تقع في نواحي اسبيجاب من مدن ما وراء النهر [(62)] تعلم فيها الفارسية والتركية والعربية ، والفارابي تركي الاصل [(63)] رحل الى بغداد ودرس فيها ومنها رحل الى حران حيث اتصل بيوحنا بن حيلان [(64)] وعاد الى بغداد ليدرس الفلسفة ولقب بالمعلم الثاني [(65)] . رحل الى حلب اذ استقر به المقام لدى سيف الدولة الحمداني حتى وفاته [(66)] .

درس الفارابي الفقه والحديث والتفسير ، وكان عارفا باللغات اليونانية والسريانية فضلا عن العربية والتركية والفارسية درس الفلسفة والرياضيات والموسيقي والطب وغيرها من العلوم [(67)] .

[(61)] ينظر عنه : ابن النديم : الفهرست ، ص363–382 ؛ ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص603–609 ؛ ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/1283م) : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة (مصر، 1948م) ج4 ، ص239–243؛ ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل (ت 774 هـ/1372م) : البداية والنهاية ، دار المعارف (بيروت، 1966م) ج11 ، ص224 ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن (ت 874هـ/1471م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن دار الكتب (القاهرة، لا ت) ج3، ص304؛ ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدسي (مصر، 1350هـ) ج2 ، ص35 .

[(62)] ينظر : ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت 367هـ/977م) : كتاب صورة الارض ، مكتبة دار الحياة (بيروت ، 1992) ص418 .

[(63)] ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج2 ، ص350 .

[(64)] ينظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج4 ، ص239 .

[(65)] ينظر : هو نكه ، زينغريد : فضل العرب على اوروبا ، ترجمة د. فؤاد حسنين علي ، دار النهضة (مصر، لا ت) ص120 .

[(66)] ينظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج4 ، ص240 ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت 764هـ/1362م) الوافي بالوفيات ، ط2 (فيسبادون، 1961) ج1 ، ص106–113 .

[(67)] ينظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ج4 ، ص239– 241 .

كان متمسكا بالدين الاسلامي ومن الزهاد [68] . الا ان جرأته ومهاجمته خرافات العصر الذي كان يعيش فيه سبب لتعرضه لهجمات شديدة من قبل الناس والعلماء فقد اتهم بالزندقة ، والكفر والخروج عن الدين [69] .

عده ابن خلكان اكبر فلاسفة المسلمين على الاطلاق اذ آثر العقل واهتدى بالمنطق وله فضل كبير على الفلسفة الاسلامية لانه اول من شرح الكتب الارسطية وعلق عليها فأتت نموذجاً للذين اتوا بعده وخاصة اثره في الشيخ الرئيس ابن سينا [70] .

وقد كان في كتاباته الفلسفية ((حسن العبارة ... لطيف الاشارة وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذييل)) [71] .

تعد مكانة الفارابي بالنسبة الى الفلاسفة المسلمين اللاحقين في غاية الاهمية اذ كان تأثيره في كتابات مؤلفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي لا ينكر ، امثال المسعودي ومسكويه وغيرهم [72] .

((كان الفارابي في المنطق (ارسطو العرب) ليس فقط لانه استعاد الثقل فيه ، بل لانه راى فيه الوسيلة التي يمكن بواسطتها جعل حد للفوضى الفكرية السائدة في عصره)) [73] .

كانت مؤلفات الفارابي تحمل هدفا نحو معالجة التمزق الفكري والسياسي والاجتماعي اذ حاول اعادة الوحدة الى الفكر والى المجتمع معاً .. اعادة الوحدة الى الفكر بالدعوة الى تجاوز الخطاب (الكلامي) السجالي والاخذ بخطاب (العقل الكوني) الخطاب البرهاني ، اعادة الوحدة

---

[68] ينظر : ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص604 ؛ نديم الجسر : قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقران ، الدار العربية ، ط3 (بيروت، 1969) ، ص57.

[69] ينظر : الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص106 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج11 ، ص224 .

[70] ينظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج4 ، ص240 .

[71] ينظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج4 ، ص239 .

[72] ينظر : حبي ، د. يوسف : الفارابي في دائرة المعارف الاسلامية (بحث منشور في مجلة المورد، المجلد الرابع ، العدد الثالث بغداد 1975) ص105 .

[73] الجابري ، محمد عابد : تكوين العقل العربي ، ص242 .

الى المجتمع ببناء العلاقات داخله على نظام جديد يحكي النظام الذي يسود الكون ويحكم اجزاءه ومراتبه [74] .

ومن ذلك فقد كانت الفلسفة عند الفارابي ((علماً واحداً شاملاً يغطي كافة جوانب المعرفة البشرية)) [75] .

والفارابي يرى في العقل مظهراً للروح العقلانية للالوهية [76] والعقل عنده ليس بحاجة الى الهام يأتيه بالمعرفة ولا الى معلم ... بل هو مستغن بنفسه لان فيه (مقدمات اوائل) أي مبادئ عقليه بها قوام وجوده حصلت عليه بالطبع منها يبتدئ ، وينطلق في عمليات استدلالية قوامها تركيب قياسات برهانية يحكمها مبدأ السببية ، ومن هنا كانت المعرفة اليقينية هي المعرفة بالاسباب [77] .

ولقد انتهى الدرس الفلسفي عند الفارابي في منحاه التاريخي مرتكزاً على فرضية توفر او قيام رئاسة فاضلة تعيد ضم شتات الامة الاسلامية [78] .

ومن اهم مؤلفاته في هذا الجانب (كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة) و (السياسات المدنية) و (رسالة السياسة) و (رسالة تحصيل السعادة) [79] .

لقد تناول الفارابي في كتابة (اراء اهل المدينة الفاضلة) حاجة الانسان الى الاجتماع [80] ، والتعاون ونشاة القرى والمدن كما يبحث في دور الانسان ومكانته في المجتمع

---

[74] ينظر : الجابري ، محمد عابد : تكوين العقل العربي ، ص241 .

[75] غريغوريان ، س ، ن : النظرات الفلسفية والاجتماعية والسياسية للفارابي (بحث منشور في مجلة المورد المجلد الرابع العدد الثالث بغداد ، 1975) ص51 .

[76] غريغوريان ، س ، ن : النظرات الفلسفية والاجتماعية والسياسية للفارابي ، ص48 .

[77] ينظر : الجابري ، محمد عابد : تكوين العقل العربي ، ص245 .

[78] ينظر : ابن عبد العالي، عبد السلام : الفلسفة السياسية عند الفارابي ، دار الطليعة ، ط2 (بيروت، 1981) ص37 .

[79] ينظر : سعد ، فاروق : تراث الفكر السياسي قبل الامير وبعده (منشور مع كتاب الامير، نيقولا ميكافيلي) دار الافاق الجديدة ، ط6 (بيروت، 1979) ص233 .

[80] ينظر : ابو نصر الفارابي، محمد بن محمد(ت 339هـ/950م) : كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة، شرح ابراهيم جزيني دار القاموس الحديث (بيروت، لا ت) ص95 .

[81] وصفات رئيس المدينة الفاضلة وسيما الحكمة التي هي من اهم صفاته [82] ، ومالا يناسب المدينة الفاضلة والفرق بين اهلها واهل المدن الضالة [83] ، ثم الصناعات واقسامها [84] .

ومما تقدم نجد ان الفارابي قد وظف الفلسفة لتفهم الحالة السياسية والاخلاقية للمجتمع المضطرب بالتناقضات الاجتماعية وكان يعتبر الهدف النهائي هو بلوغ الناس السعادة عن طريق الفضائل واعمال الخير ، غير ان الانسان الخير لا يستطيع ان يبلغها لوحده ، من دون التعاون مع الناس الاخرين [85] .

((ان الفارابي يحلل على نحو سليم ، حالة المجتمع المعاصر له ، وهو يعلق كامل المسؤولية في فساد الدولة على الفئات العليا الحاكمة التي تستغل سلطتها ليس لاجل تنفيذ الارادة الالهية ، بل لتطمين شهواتها)) [86] . وذلك من خلال تحليله للوقائع التاريخية بفهم عقلي وفلسفي كلي .

والفارابي في تشبيهه للدولة الفاضلة بجسم الانسان يكون قد فسر قوة الدولة بمكامن القوة في الجسد فالرئيس يمثل القلب وهذا تفسير عضوي متقدم .

---

[81] ينظر : الفارابي : المدينة الفاضلة ، ص96 .

[82] ينظر : الفارابي : المدينة الفاضلة ، ص98-105.

[83] ينظر: الفارابي : المدينة الفاضلة ، ص106 .

[84] ينظر الفارابي : المدينة الفاضلة ، ص112 .

[85] ينظر : غريغوريان ، س ، ن : النظرات الفلسفية والاجتماعية والسياسية للفارابي ، ص53 .

[86] غريغوريان ، س ، ن : النظرات الفلسفية والاجتماعية والسياسية للفارابي ، ص55 .

ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي (ت 505هـ/1111م) [87] :

ولد سنة خمسين واربعمائة [88] في غزنه من قرى خراسان وقد قيل بأنه سمي الغزالي نسبة الى هذه القرية وقيل نسبة الى صنعه أبيه وهي غزل الصوف [89] .

((وبرع – الغزالي – في النظر في مدة قريبة وقاوم الاقران وتوحد وصنف الكتب الحسان في الاصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها حتى انه صنف في حياة استاذة الجويني ، فنظر الجويني في كتابه المسمى بالمنخول فقال له دفنتني وانا حي هلا صبرت حتى اموت ! واراد ان كتابك قد غطى على كتابي)) [90] .

لقد كان عصر الغزالي من اروع عصور الجدل والنقاش الفكري ، او ما يسمى بعصر الكلام والمتكلمين في كل مراحل الحضارة العربية الاسلامية ، وقد امتاز عصره بانشاء المدارس وحلقات الجدل ... ومن اشهرها المدارس (النظامية) نسبة الى نظام الملك الطوسي وهو الوزير المعتمد للسلطان السلجوقي ملك شاه وقد انشات هذه المدارس في عديد من المدن الاسلامية المهمة ومنها بغداد ، والموصل ، والبصرة ، واصفهان ، وبلخ، وهراة ، ونيسابور وغيرها [91] .

ان لصفات الغزالي الشخصية ، وخصوصيات الطريق الصوفي الذي انتهجه بنفسه، اثرا كبيرا فضلا عن عصره ، وظروف الدولة السلجوقية العامة ... في تكوين منهجه الفكري ، وعقيدته وفي بلورة طروحاته الفكرية والروحية [92] .

[87] ينظر : السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم (ت 562هـ/1166م) : الانساب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (الهند، 1979) ج10 ، ص33 . ؛ ابن الجوزي : المنتظم ج9 ، ص168–170؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج3 ، ص353–355 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج12 ، ص173–174 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص203 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج2 ، ص1694 .

[88] ينظر : ابن الجوزي : المنتظم ، ج9 ، ص168 .

[89] ينظر : الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص9 .

[90] ينظر : ابن الجوزي : المنتظم ، ج9 ، ص168–169 .

[91] ينظر : رمضانوف ، ن . ف : دراسة في عالم الغزالي وفكره ، ترجمة وتعليق ، د.جليل كمال الدين (بحث منشور في مجلة المورد المجلد التاسع، العدد الرابع، بغداد 1981) ص356 ؛ المحمدي ، عبد القادر موسى : الاغتراب في تراث صوفية الاسلام ، دار الحكمة ، (بغداد ، 2001) ص108 .

[92] ينظر : رمضانوف ، ن . ف : دراسة في عالم الغزالي وفكره ، ص357 .

لقد كان الغزالي ((داعية الى الاصلاح على كافة مستوياته سواء كان الديني او الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي بالتبعية ، فان كل اصلاح للاموال العامة كان يمر من خلال الاصلاح الديني وعبر رموزه ومصطلحاته)) [93] .

وقد كان للاصول الفكرية التي اعتمدها الغزالي في دعوته هذه قد تعدت الفقه ، والتصوف ، وعلم الكلام ، والجدل ، والفلسفة اذ استطاع احتواء التيارات الفكرية المتصارعة في عصره كما استطاع ان يستوعب التراث العربي الاسلامي وان يبلور من خلال ذلك مذهبا فكريا ، دينيا ، انتقائيا ، يعتمد الاختيار والمرونة بالعودة الى المنابع الاسلامية الاساسية [94] .

وهنا لا بد من الاشارة الى رحلة الغزالي في طلب المعرفة من خلال اطلاعه على جميع علوم عصره والاحاطة بها ، وكذلك بحثه في الديانات وشكه الذي ادى به الى اتخاذ المنهج الخاص به ، اذ يقول الغزالي عن ذلك ((وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من اول امري وريعان عمري غريزة وفطره من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي . فلم ازل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل العشرين الى الان وقد اناف السن على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق– بحر المذاهب والعلوم – واخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الخدور واتوغل في كل مظلمة واتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة واتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف اسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق وباطل)) [95] .

كذلك قوله : ((فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الاخرة قريبا من ستة اشهر ، اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس)) [96] .

---

[93] ينظر : رمضانوف ، ن . ف : دراسة في عالم الغزالي فكره ، ص261 .

[94] ينظر : باسيل ، فكتور سعيد : منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي ، دار الكتاب اللبناني (بيروت، لا ت) ص31 ؛ رمضانوف ، ن . ف : دراسة في عالم الغزالي وفكره ، ص391 .

[95] الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص68–69 .

[96] الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص128–131 .

وبعد رحلة طويلة بين الانقطاع والتامل والزهد نجده يهتدي الى دعوة الحق ، العلم القائم على ((ايمان يقين ومشاهدة ، انه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم [97] ويستطرد الغزالي بالقول : محدثا ((و اني لم اتحرك ولكنه حركني ، واني لم اعمل ولكنه استعملني فأسأله ان يصلحني اولا ثم يُصلح بي ويهديني ، ثم يُهدي بي ، وان يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه)) [98] .

ان ما ذهب اليه الغزالي قد اكد لنا نجاح محاولته للتدقيق في الرواية التاريخية عند تأملها فلسفيا للوصول الى اليقين الفلسفي الذي صار قرين العلم ان لم يكن هو العلم نفسه وربما هو الذي جعل الغزالي يذهب في كثير من وصاياه الى العودة الى الاصول الاسلامية الاولى بما تضمنت من عدل وحق ونزاهة واستقامة ورفعة في الخلق وعفة في الضمير والسلوك ، فذلك السبيل لاصلاح المجتمع العربي الاسلامي في عصره ... ولعل هذا اهم فتح فكري اجتماعي لرحلة الغزالي الروحية الكبيرة التي تفوق في مردودها الفكري الكثير من الرحلات ، والتي يتفوق فيها الغزالي على ديكارت (1596–1650م) ويسبقه فيها اصولا وثماراً ومعطيات [99] ترتكز على العقل الذي عده الغزالي قوة يمكن التمييز بها بين الحسن والقبيح وبين النافع والضار اذ كان العقل المعيار الاول في طلبه للمعرفة اضافةً للحواس وبهذا اخرج الغزالي ((العقل من سجن التقاليد الى دائرة الكون الرحبة حيث كل شيء في تغير وتبدل مستمر)) [100] .

وهو يمزج بين العقل والشرع بقوله : ((فالمعرض عن العقل مكتفيا بنور القرآن مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضا الاجفان ، فلا فرق بينه وبين العميان ، فالعقل مع الشرع نور على نور)) [101] .

---

[97] الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص153–154 .

[98] الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص153–154 .

[99] ينظر : رمضانوف ، ن . ف : دراسة في عالم الغزالي وفكره ، ص362 .

[100] ينظر : باسيل ، فكتور سعيد : منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي ، ص35 .

[101] الغزالي : كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، مطبعة منير (بغداد لا ت) ص4 .

ومما تقدم نجد ان منهج الغزالي للوصول الى اليقين والذي اعتمد فيه على الشك يؤكد ريادة علماء وفلاسفة الاسلام في مناهجهم البحثية فبعد منهج علماء الجرح والتعديل [102] ، ها هو الغزالي يؤطر لنا معالم منهج بحثي اخر هو منهج الشك وصولا للحقيقة ، وهذين المنهجين من اهم مناهج البحث العلمي والتاريخي التي بهرت الغرب في العصور الحديثة كان مؤرخو الاسلام قد استخدموها في الكتابة التاريخية من قبل فهاهو الكرديزي من مؤرخي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي يقول في مقدمة احد مؤلفاته متأثراً بعقيدة الشك عند الغزالي وعلم الجرح والتعديل : ((ان كل ما قدمت من الاخبار ليس له من الشأن ... فان تلك اشياء تلقيناها وقرأناها في الكتب ولا شك ان المصنفين والرواة ، لتلك التصانيف والاخبار ، قد رووا وذكروا قليلاً او كثيراً، لتلك التصانيف بالكلام المعجب والتأليف المعزز ، اما هذه الاخبار ، فان اغلبها ما شاهدته برؤية عيني ...)) [103] .

ان قدرة العقل المبنية على اليقين المستند على الاصول (النص + التاريخ + التراث الفلسفي) هو الذي يمكن له ان يصوغ لنا رؤية فلسفية ذات بعد تاريخي ، وتلك الرؤية تجلت لنا بوضوح عند الغزالي والتي جاءت تتويجا لجهوده في قراءة الفكر العربي الاسلامي بشمولية ادت به الى ضرورة التمحيص في الرواية وقد نتج عن ذلك كله طروحات فكرية واضحة عند الغزالي تمثلت في :

1- ايمانه بالاجتهاد عند عدم وجود النص [104] .

2- اتخاذ الطبيعة مجالا للعلم ، والعقل مدركا له ، اما الدين فمجاله ما وراء الطبيعة عندما يتخلف العقل عن الادراك ، فيكون الالهام والحدس دليلا آنذاك [105] .

---

[102] ينظر : ابن ابي حاتم الرازي ، ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم (ت 327هـ/938م) : الجرح والتعديل، دار احياء التراث العربي (بيروت ، 1952) .

[103] الكرديزي ، ابو سعيد عبد الحي (ت اواسط القرن الخامس هـ) : كتاب زين الاخبار ، ترجمة محمد بن تاويت ، مطبعة محمد الخامس (فاس، 1972) ص69 .

[104] ينظر : الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص118-122 .

[105] ينظر : رمضانوف ، ن . ف : دراسة في عالم الغزالي وفكره ، ص366

3- اعتماد الغزالي على الشك طريقا لليقين اذ يقول ((من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر عاش في العمى والضلال)) [106] .

4- والغزالي يربط بين العلم والعمل اذ يعتقد بانه لا طريق الى السعادة الا بالعلم والعمل ولكل منهما طريق [107] .

اما رؤية الغزالي للدولة فهو يدعو الى نظام اسلامي قريب من نظام الحكم ايام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كذلك ايمانه بخلافة السلطان كونه خليفة الله ، وقد دعا الى الاصلاح الاجتماعي مع نبذ الفتن وقد وردت نصائحه بشأن الحكم في كتابه (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) اذ تناول فيه وصاياه للحكام في الدولة العربية الاسلامية [108] .

ان الغزالي قد اسهم في تطور التكوين التاريخي في الفكر العربي الاسلامي في المنهج من جهة وفي المعالجة الاجتماعية القائمة على استلهام التاريخ دروساً من جهة اخرى .

---

[106] الغزالي : ميزان العمل ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف (مصر، 1964) ص409 .

[107] ينظر الغزالي : ميزان العمل ، ص1-20 .

[108] ينظر : رمضانوف ن . ف : دراسة في عالم الغزالي وفكره ، ص382-383 ؛ سعد ، فاروق : تراث الفكر السياسي ، ص235-236 .

يمكن ان نعد الدافع الذي تأسست بموجبه الدولة الاموية في الاندلس سنة 138هـ / 755م [1] ظرفاً خاصاً يحسب امتداداً لعهود القوة في الدولة العربية الاسلامية، لذا فان بوادر الانفصال خلال العهد العباسي قد بدأت بانفصال الادارسة في المغرب سنة (172هـ / 788م) [2] ، والاغالبة في تونس سنة (184هـ/800 م) [3] ، ومن ثم انفصال الطاهريين في مشرق الدولة بعد سنة (205هـ/820م) [4] تلاه سيطرة الصفارين على فارس سنة (254هـ/ 868م) [5] والطولونيين في مصر سنة (254هـ / 868م) [6] أيضاً ومن ثم انفصال السامانيين في فارس وبلاد ماوراء النهر سنة (261هـ/874م) [7] ، ودولة الحمدانين سنة (292هـ/904م) في الجزيرة [8] ومن ثم قيام دولة الاخشيدين في مصر سنة (323هـ/934م) [9] وبعدها الامارة الغزنوية في المشرق سنة

---

[1] ينظر : خليفة بن خياط (ت 240هـ/854م) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق اكرم ضياء العمري ، مطبعة الاداب (النجف الاشرف ، 1967م) ج2 ، ص441 .

[2] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص284 .

[3] ينظر : البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت 297هـ/892م) : فتوح البلدان ، مراجعة رضوان محمد رضوان ، المكتبة التجارية الكبرى (مصر ، 1959م) ص234 – 236 ؛ ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم (ت 630هـ / 1232م) : الكامل في التاريخ ، المطبعة المنيرية (مصر ، 1357هـ) ج5 ، ص104-105 .

[4] ينظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج8 ، ص577-594 ؛ الخطيب البغدادي ، الحافظ ابو بكر احمد بن علي (ت 463هـ/1070م): تاريخ بغداد ، المكتبة السلفية (المدينة المنورة ، لات) ج9 ، ص354-355 .

[5] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص354 ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص337-340 .

[6] ينظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص354 ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص339 .

[7] النرشخي ، ابو بكر محمد بن جعفر (ت348هـ/959م) : تاريخ بخارى ، ترجمة وتحقيق عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر ، دار المعارف (مصر ، 1965) ص86-149 ؛ ابن الجوزي : المنتظم ،ج5 ، ص141 .

[8] ينظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص111 .

[9] ينظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص318 .

(351هـ/ 962م) [10] . لتتوج هذه الكيانات الانفصالية بقيام الدولة الفاطمية في مصر سنة (351هـ / 962م) [11] .

ان هذه الكيانات تحولت بمرور الزمن الى دويلات حاكمة ترتبط بالخلافة اسمياً الا انها في الواقع منفصلة مما ادى الى ازدياد التنافس السياسي والمذهبي وتمزق النسيج الاجتماعي [12] .

وتميز العصر العباسي الثاني باعتماد الخلافة على الترك وعناصر اخرى من الجيش ثم ازدياد نفوذ هؤلاء وسيطرتهم على مقاليد الحكم [13] .

وبمقتل المتوكل (232هـ/846م) / (247هـ /861م) بدا منعطف جديد في سير الخلافة العباسية ، اشتدت فيه سيطرة القادة الترك اذ لم يبق للخليفة شيء من النفوذ فيما عدا فترة قصيرة ما لبث ان عاد القادة الاتراك بعدها الى التحكم بامور الخلافة [14].

وفي سنة 334هـ/945م استطاع البويهيون التقدم نحو عاصمة الخلافة (بغداد) والتسلط على مقدرات الخلافة وبذلك حلَّ امراء بني بويه محل سابقيهم من قادة الترك والديالمة وقد استمرت هذه السيطرة حتى سنة 447هـ/1055م [15] .

كان للتسلط البويهي وسوء سيرة الامراء البويهين مع الخلفاء العباسين والعامة قد ادى الى سوء الحالة في مقر الخلافة وتردي الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فضلاً

---

[10] ينظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص85-87 .

[11] ينظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص66-78 .

[12] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص269 .

[13] ينظر : عمر ، د. فاروق : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، مكتبة المثنى ، ط2 (بغداد ، 1977) ص51.

[14] ينظر : عمر ، د. فاروق : الخلافة العباسية ، ص44.

[15] ينظر : ابن الجوزي : المنتظم ، ج6 ، ص340-341 ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص230-232 .

عن تدخلات الفاطميين في شؤون الخلافة في بغداد من خلال استمالة الامير البويهي ابي كاليجار الذي كان يعمل على انهاء الخلافة العباسية والدعوة للفاطميين [16] .

الامر الذي دعا الخليفة الى دعوة السلاجقة لمساعدته على التخلص من البويهيين فبدل سيطرة اجنبية باخرى اذا استمر تسلط السلاجقة حتى سنة 552 هـ / 1155م [17] .

لقد استخدم البويهيون والسلاجقة سياسة اقتصادية اضرت بالمجتمع فلم يسلم العامة حتى من اعتداءاتهم واطماعهم [18] . وقد شهدت بلاد الشام ومصر فضلاً عن ذلك خلال الحقبة بين (488هـ /1095م – 691هـ /1292م) غزواً للفرنجة حمل راية الصليب شعاراً له ، الا انه كان يحمل دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية وتاريخية اضافة للدافع الديني [19] .

وخلال تلك الفترة كان مشرق الدولة العربية الاسلامية المتناحر قد تعرض لهجمة بربرية أدت بالنهاية الى نهاية الخلافة العباسية من خلال دخول المغول بغداد سنة (656 هـ / 1258م) [20] .

وبعد هذا العرض الموجز للوضع السياسي للخلافة العباسية والتسلط الاجنبي على شؤونها نأتي على ذكر الذي افرزته هذه المعطيات في العقل العربي الاسلامي لمواجهة حالة التجزئة والتسلط والغزو الاجنبي .

---

[16] ينظر: السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911هـ/1605م): تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار العهد الجديد (بيروت ، 1952) ص417–418 .

[17] ينظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص70–74 .

[18] ينظر : نظام الملك ، حسن بن علي (ت 485هـ/1092م) : سياسة نامة ، (باريس ، 1891م) ص139 ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج9 ، ص129 .

[19] ينظر : المعاضيدي ، د. خاشع وآخرون : تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، دار الكتب (الموصل ، 1981) ص19–25.

[20] ينظر :الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764هـ/1362م) : عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، دار الرشيد (بغداد ، 1980) ج20 ، ص86.

شهد القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي والقرون التالية له حركة فكرية متنامية كانت ترمي من جملة ما ترمي اليه استلهام رؤية تعتمد الاصول الفكرية للامة العربية الاسلامية ، تقف بوجه التجزئة والتسلط والغزو الاجنبي .

فهاهو المسعودي يستلهم التاريخ ودروسه من خلال رؤية الماضي ودراسة الحاضر لمحاولة ايجاد حلول للخلاص من التردي الذي تعيش فيه الامة اذ يقول : ((ان التنازع في الامم سبب لفنائها)) [21].

ومن ثم يحدد اثر الحركات الانفصالية على وحدة الامة الاسلامية وقوتها فهاهو يستلهم التاريخ درساً مرة أخرى بقوله الذي يصف فيه المجتمع انذاك اذ يقول : ((وما اشبه امور الناس بالوقت الا بما كانت عليه ملوك الطوائف [22] بعد قتل الاسكندر بن فيلبس ...)) [23] .

ان هذا النص يبين لنا اهمية التاريخ فكراً وتدويناً ودراسة في حياة الشعوب ، اذ ان المسعودي الذي عرف عنه بوصفه جغرافياً ومؤرخاً وفيلسوفاً ياتي بالدليل على توالي احداث العالم ودورانها بالربط بين احداث ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام وعصره، اذ تحدث المسعودي بذلك في وقت يفصل بين عصره وبينها بما لايقل عن (1200) عام .

وهو في ذلك يستلهم التاريخ سجلاً للاحداث مؤطراً برؤية اسلامية تستلهم ايات القرآن الكريم في معنى قوله تعالى : ((لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ)) [24] ، اذ تشير كتب التفسير الى ان من جملة مامقصود من الاية : ان حوادث الامم السابقة تجري بعينها في هذه الامة [25].

---

[21] المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص83 .

[22] حول ملوك الطوائف ، ينظر : السهيلي : الروض الانف ، ج1 ، ص144-145.

[23] المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص346.

[24] سورة الانشقاق ، الاية 19.

[25] ينظر : الطبري ، محمد بن جرير : جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج30 ، ص122-125 ؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ج8 ، ص226-227 ؛ الخوئي : السيد ابو القاسم الموسوي ، البيان في تفسير القرآن ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، ط3 (بيروت ، 1974) ص20 .

ورؤية هؤلاء المفسرين تنطلق من الحديث النبوي الشريف الذي ذكره مسلم بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه اذ يقول : ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً وبذراع ، حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم) [26] .

وهكذا نجد ان المسعودي قدم رؤية في فلسفة التاريخ على وفق المنظور الحديث يكون فيها قد تقدم على شاكلته من المؤرخين عبر توالي الازمنة .

ومن ذلك يتبين لنا هدف المؤرخين في كتابة التاريخ للعظة والاعتبار واستلهام رجال الفكر من متكلمين وصوفية وفلاسفة لآحداث التاريخ في معالجتهم للاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة .

اذ ان التاريخ كان حاضراً امام هؤلاء من خلال كتابات مؤرخي العرب المسلمين امثال اليعقوبي (ت292 هـ /905م) والطبري (ت310هـ/923م) والمسعودي (ت346هـ /957م) وغيرهم.

وذلك كله من خلال رؤية اسلامية تعتمد كتاب الله ووحدانيته قدوة ودعوى للاصول الاولى للدولة العربية الاسلامية اذ ليس بعيداً عنهم قول الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم .

اذا جاء في كتب الصحاح مسنداً عن الامام علي عليه السلام قوله : ((ستكون فتن، قلت ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لاتسبغ به الاهواء ، ولاتلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولايخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ...)) [27] .

---

[26] مسلم بن الحجاج ، ابو الحسين القشيري النيسابوري (ت261هـ/874م) : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي (بيروت لات) ج4 ، ص2054 .

[27] الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت297هـ/909م) : سنن الترمذي ، شرح الامام ابو بكر بن العربي المالكي ، مطبعة الصاوي (مصر، 1934م) ج11 ، ص30 .

ونجد في جانب اخر احد مؤرخي الاندلس وهو ابو بكر الطرطوشي (ت 520هـ/1126م) . والذي رحل في انحاء متفرقة من دولة العرب والاسلام اذ دخل بغداد والبصرة وسكن الشام وبيت المقدس ومن ثم استقر به المقام في الاسكندرية اذ توفى هناك [28] .

فقد اطلعته هذه الرحلة على حال الدولة العربية الاسلامية ، الممزقة والمهددة بالوجود الصليبي في بلاد الشام فحاول استلهام التاريخ واعظاً من خلال محاولة تذكير الامة بما مر بالامم السالفة جراء سوء سياسة الملوك ، فوضع كتاب (سراج الملوك) الذي قال في مقدمته :

((اما بعد : فاني نظرت في سير الامم الماضية ، والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول ، التزموه من القوانين في حفظ النحل ، فوجدت ذلك نوعين احكاما وسياسات فاما الاحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام ، والبيوع والاحكام ، والانكحة والطلاق ، والاجارات ونحوها ... واما السياسات التي وضعوها في التزام تلك الاحكام ، والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها ، واهانة من استهان بها وخالفها ، فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها ... وكذلك في تدبير الحروب ، وامن السبل ، وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم ...)) [29] .

وبعد تحديد قوانين سير وسلوك الدول والمجتمعات من خلال دراسة الماضي يذهب الطرطوشي مسترسلاً بالقول نحو وضع المعالجات للحاضر المتردي الذي تعيشه الدولة العربية الاسلامية لمستقبل افضل اذ يقول :

((فنظمت ما لقيت في كتبهم من الحكمة البالغة ، والسير المستحسنة ، والكلمة اللطيفة ... والاثر النبيل الى ما رويته وجمعته من سير الانبياء عليهم السلام ، واثار الاولياء ، وبراعة العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن العزيز الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ، ومعدن السياسات ، ومغاص الجواهر المكنونات ، ان اختصر

---

[28] ينظر : الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد (ت520هـ/1126م) : كتاب سراج الملوك ، المكتبة المحمودية (مصر ، 1935م) المقدمة .

[29] الطرطوشي : كتاب سراج الملوك ، ص3 .

فلمحه دالة واشارة خفيفة ، وان اطال فالفاظ بارعة ، وايات معجزة وهو الهادي من الضلالة ، والحاوي لمحاسن الدنيا وفضائل الاخرة)) [30] .

ومما تقدم من قول نجد ان المؤلف ومن خلال اطلاعه حسب ما مر قوله قد استلهم دروس التاريخ مؤكداً كلية القرآن الكريم فهو كتاب الله ، وقد احاط احاطة كلية بالاشياء وان التمسك باحكامة واشاراتة خلاص من حالة التردي التي تعيشها الامة فقد كان كتابه – الطرطوشي – ((عصمة لمن عمل بة من الملوك واهل الرياسة ، وجُنة لمن تحصن به من اولي الامر والسياسة ...)) [31].

ومن ذلك نجد ان الكتاب لم يوضع ترفاً فكرياً ولااسترزاقاً وانما كان حاجة لتبصير اولي الامر بعوامل القوة والعدل وتلك معالجة سياسية واجتماعية قائمة على استلهام التاريخ للوصول بحالة المجتمع الى حالة افضل منها فها هو يعد كتابة ((عصمة الملوك والامراء ، ومعقل السلاطين والوزراء ، لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية)) [32] .

وللصفدي رؤية لاتختلف عن رؤية سابقية اذ انها تنطلق من منابع فكرية واحدة الا انه يجعل التاريخ حاضراً بمفهومه الحديث بصورة اكثر وضوحاً اذ يقول :

((والتاريخ للزمان مرآة ، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة ، واخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهات وربما افاد التاريخ حزماً وعزماً ، وموعظة وعلماً ، وهمة تذهب هماً ، وبياناً يزيل وهماً ، وحيلاً تثار للاعادي من مكامن المكايد ، وسبلاً لاتعرج بالاماني الى ان تقع من المصايب في مصائد ...)) [33] .

وهنا نجد ان التاريخ لم يكن سجلاً لاعمال الانسان فقط بل هو ماض يستفاد منه للحاضر والمستقبل .

---

[30] الطرطوشي : كتاب سراج الملوك ، ص4 .

[31] الطرطوشي : كتاب سراج الملوك ، ص4–5 .

[32] الطرطوشي : كتاب سراج الملوك ، ص6 .

[33] الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج1 ، ص3–5 .

ومما تقدم نجد ان بعضاً من الرد العربي الاسلامي على التمزق السياسي والتسلط والغزو الاجنبي على الدولة العربية الاسلامية كان باتخاذ الفكر سلاحاً للمقاومة الامر الذي ادى الى انتصار الاسلام فقد رجع الصليبيون مدحورين الى بلدانهم حاملين جوانب مهمة من فكر العرب المسلمين الذي شع على اوربا فيما بعد ليكون المشعل الذي انار نهضتها في القرون اللاحقة [34] .

اما من جهة الشرق فقد انتصر الاسلام انتصاراً باهراً باتخاذ أحفاد هولاكو الاسلام دينا رسمياً لدولتهم وفي ذلك يقول فيليب حتي [35] :

((كان الاسلام في مطلع القرن الثالث عشر يكاد ينهار ... بين ضغط المغول في الشرق وغارات الصليبيين في الغرب فما ان دنا اخر القرن حتى تغيرت الحال واصبح عزيز الجانب فقد دحض الصليبيون الى البحر واعترف سابع الايلخانات بالاسلام ديناً للدولة ... فجاء ذلك فوزاً جديداً باهراً لدين محمد ... ولم يكد ينقضي نصف قرن على كفاح هولاكو المريع في سبيل افناء الثقافة الاسلامية حتى قام ابن حفيده غازان فكرس وقته وقوته بصفته مسلماً لاحياء معالم تلك الثقافة نفسها)) .

ولم يكن ذلك الا بجهود مفكري الامة الذي استلهموا التاريخ مؤطراً بالرؤية الاسلامية لمعالجة الوضع الجديد وهم بذلك لم يجعلوا من التاريخ مجرد سجل للحوادث الماضية وتخليداً لاعمال الرجال العظام ، بل درسوا الماضي برؤية اسلامية واضحة تدعوا للعظة والعبرة لكي لا تدور عليهم دوائر الماضي فيحل بهم ما حل بالاقوام الماضية وان هم مروا بذلك فعليهم العودة الى القيم والسبل التي جعلت الامم الماضية في مواضع الترقي بعيداً عن مواقع الانحدار [36] .

---

[34] ينظر : هونكة ، زينغريد : فضل العرب على اوربا ؛ بدوي ، عبد الرحمن : دور العرب في تكوين الفكر الاوربي، دار الفكر ط3 (بيروت ، 1979) ؛ نخبة من اساتذة الجامعات الاوربية والعربية : اضواء عربية على اوربا في القرون الوسطى ، ترجمة عادل العوا ، منشورات عويدات (بيروت، 1983) .

[35] حتي ، فيليب : تاريخ العرب (مطول) . ج2 ، ص584-585 .

[36] ينظر : البيروني ، ابو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت440هـ/1048م) : الاثار الباقية عن القرون الخالية (لامكان، لا ت) ص13 .

اذا كان الحديث النبوي الشريف والسيرة والمغازي والفتوح مادة التاريخ العربي الاسلامي فضلاً عن الاخبار في القرون الثلاثة الاولى [37] فان هذه المادة قد توسعت فيما بعد لتنظم اليها مناظرات اهل المذاهب و الفلسفة ومؤسسات الدولة التي اسهمت مع غيرها من العوامل بتطور علم التاريخ خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، إذ ((بدأ علم التاريخ مسيرته العلمية المستقلة لحد كبير مسجلا طوراً خاصاً جديداً في تلك المسيرة ومتأثراً دون شك بنمو العلوم الآخرى ، واتساع نطاق الحضارة المادية وانتشار الورق)) [38] .

وفضلاً عن ذلك فقد كانت التحديات التي تواجه الامة العربية الاسلامية حافزاً لكثير من المؤرخين والمهتمين بمعالجة حالة التردي التي تشهدها الأمة للكتابة في تواريخ الأمم السابقة بمنحى فلسفي عميق متعرفا" على علل الحوادث واسباب قيام الدول وعلل سقوطها ومظاهر العمران واصول الاجتماع ونحو ذلك [39] ، وحسب ما تم بيانه .

وقد اهتم المؤرخون فضلاً عن ذلك بدراسة القيم الاخلاقية اذ ان التاريخ ((يخلد ذكر الاعمال الصالحة والسيئه لتكون عبرة للاجيال المقبلة)) [40].

ويرى هاملتون جب [41] بان المؤرخين العرب اتخذوا الأشارة الى العامل الاخلاقي في ذلك العصر بدلا من العامل الديني . الا ان دراستنا للتاريخ الآسلامي وكما مر بنا توضح ان العامل الاخلاقي شكل جزء من الكل الذي دعى العامل الديني للعمل بموجبه .

ان هذا الأهتمام من جانب مؤرخي العرب المسلمين خلال هذا القرن لم يات ترفاً فكرياً او حاجة لأملاء دفاترهم بل كان حاجة اجتماعية لمعالجة حالة التردي في المجتمع. وهذا ما سنجده من خلال دراستنا لرؤى بعض مؤرخي العرب المسلمين .

---

[37] ينظر : الدوري ، عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، دار المشرق (بيروت ، 1983) ؛ العلي ، صالح احمد : تطور الحركة الفكرية في صدر الاسلام ، مؤسسة الرسالة (بغداد ، 1983) ؛ ريان ، د. رجائي : مدخل لدراسة التاريخ ، دار ابن رشد ، (عمان ، 1986).

[38] مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج1 ، ص269 .

[39] ينظر : هرنشو : علم التاريخ ، ص59 .

[40] جب ، هاملتون : دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة د. احسان عباس وآخرون ، دار العلم للملايين ط2 (بيروت ، 1974) ص159 .

[41] جب ، هاملتون : دراسات في حضارة الاسلام ، ص159 .

المسعودي ،ابو علي الحسن علي بن الحسين (ت 346 هـ / 957 م) [42]

حجازي الأصل عراقي المولد دفين الفسطاط [43] . يعود نسبه الى الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود رضي الله عنة [44] . لقبه ابن خلدون بأ مام الكتاب [45] ، ولقبة فون كريمر بلقب هيرودوت العرب [46]. عده جب ، من اكبر مؤرخي العرب [47]. ميز روزنثال، بينه و بين اليعقوبي أذ عده ((ادق من اليعقوبي تمثيلاً للتغيير العالمي الحضاري للتاريخ)) [48].

كتب المسعودي في الوان الافكار والملل وذخائر العلوم عند الناس ... وطرائف الأثمار والخبرات الحياتية التي عرف في السياسة والتجارب وطب النفوس والرؤيا فجاءت في (35) كتاباً لم يبق منها كلها سوى اثنين وجزء واحد من ثلاثين من كتاب ثالث [49] .

وهذه الكتب هي الجزء الأول من كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثان في الأمم الماضية والممالك الداثرة وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وكتاب التنبيه والأشراف [50] .

---

[42] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص9-18 ؛ ابن النديم : الفهرست ، ص225-226 ؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ، ج2 ، ص94 ؛ ابن خلدون : المقدمة ، ص25 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج2 ، ص371 ؛ حاجي خليفة : كشف الضنون : ج1 ، ص49 ؛ مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2، ص45-54 ؛ روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص187 ؛ جب ، هاملتون : علم التاريخ ، ص70.

[43] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص65 ؛ ابن النديم : الفهرست ، ص225 .

[44] ينظر : ابن النديم : الفهرست ، ص225 ؛ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج2 ، ص94 .

[45] ينظر : ابن خلدون : المقدمة ، ص25 .

[46] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص53 .

[47] جب ، هاملتون : علم التاريخ ، ص70 .

[48] روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص187 .

[49] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص47 .

[50] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص47 .

تتبين لنا رؤية المسعودي للتاريخ من خلال كتابيه مروج الذهب ومعادن الجوهر والتنبيه والأشراف ، أّذ يتناول في كتابه الأول قصة خلق العالم [51] ثم يعقبها بوصف طبيعة الأرض [52] .

ثم يبحث في تاريخ العرب قبل الأسلام مؤكداً العناصر الحضارية في تاريخهم[53] مع ذكر جميع الأمم الأعجمية المعروفة للمسلمين [54] ثم يذكر تاريخ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [55] فضلاً عن ذلك فقد اورد السعودي في كتابه معلومات تتحدث عن الفلسفة والعقائد الكلامية [56] ثم افتتح كتابه بذكر ملخص لتواريخ حكم الخلفاء وسنيهم [57] ((ثم أنه صنف كتاباً مقتضباً هو (كتاب التنبيه والأشراف) أشار فيه بكثرة الى كتبه الأخرى ، مما يدل بجلاء ان غرضه من تلك السلسلة هو بحث ظواهر العالم المادية كافة ضمن نطاق التاريخ)) [58] .

واهم ما تميزت به طريقة المسعودي التاريخية تتمثل في الموسوعية فهي تتسع لامور الفلك اتساعها للأبحاث الجغرافية وتاتي فيها اخبار الكتب واجناس البشر بجانب اخبار الرجال وحديث التقاليد والاقاصيص والطب . وهو يتحدث في السياسة وعللها وامور الحرب حديثه في امور الفكر والجدل المذهبي والديني ... ويذكر مصادره في الوقت الذي يقارن بين النجوم .. كذلك استسلامه لذكر الطرائق والغرائب والخوارق [59] .

---

[51] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص28 .

[52] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص30-31 ، 86-93 .

[53] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص45-75 .

[54] ينظر: المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص76-83 ، ص131-142 ، ص165،161 ، ج2 ، ص4 .

[55] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص272-298 .

[56] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص229-231 ؛ مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص52 .

[57] ينظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج2 ، ص304 وما تلاها .

[58] ينظر : المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص2-6 ؛ روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص187.

[59] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والؤرخون ، ج2 ، ص52 .

ومن ما تقدم يتبين لنا ان التاريخ عند المسعودي هو تاريخ الانسان على المكان متأثراً ومؤثراً فيما حوله اذ نجده يتحدث مفصلاً في ((هيئة الارض ، ومدتها وعجائبها وبحارها وانهارها وجبالها وجزائر البحار والبحيرات الصغار، واخبار الابنية المعظمة ، والمساكن المشرفة ، وذكر شأن المبدأ واصل النسل وتباين الاوطان ... وكرور الدهور، وعلة ذلك ، وسببه الفلكي والطبيعي ، وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ... ومقادير النواحي والافاق ، وتباين الناس في التاريخ القديم ، واختلافهم في بدئه واوليته ، من الهند واصناف الملحدين ، وما ورد في ذلك عن الشرعيين ، وما نطقت به الكتب وما ورد علىالديانيين)) [60] .

ثم يتحدث عن ((الملوك الغابرة والامم الداثرة ، والقرون الخالية والطوائف البائدة ... من الملوك والفراعنة العادية والاكاسرة واليونانية وما ظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم واخبار ملوكهم ، واخبار العناصر الا ما في تضاعيف ذلك من اخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى ان افضى الله بكرامته وشرف برسالته محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم ... الى الوقت الذي شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله امير المؤمنين وهي سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة)) [61] .

ثم يحدد المسعودي ما نقله ((من الاخبار في مبدأ الخليقة هو بما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف)) [62] .

وذلك يؤكد بان رؤية المسعودي التاريخية للانسان والاجتماع الانساني ككل تنطلق من رؤية اسلامية اذ ان ((الاسلام هو الدين الوحيد الذي اسس بنيانه على الاجتماع صريحاً ولم يهمل امر الاجتماع في شأن من شؤونه)) [63] .

فقد اشار القرآن الكريم الى تشعب الامم والاجناس وشرائع الانبياء والامم الوثنية والامم المتمدنة وسيرة الملوك فيها والظلم والاستبداد ، وبذلك كان القرآن الكريم ملهماً للمؤرخين

---

[60] المسعودي: مروج الذهب ، ج1 ، ص9 .

[61] المسعودي: مروج الذهب ، ج1 ، ص10 .

[62] المسعودي: مروج الذهب ، ج1 ، ص31 .

[63] الطبطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي ، ط3 (بيروت ، 1974) ج4 ، ص19.

للاشتغال بتواريخ الامم والمجتمعات وقد اجاد في ذلك كثير من المؤرخين كالمسعودي وابن خلدون اذ تطورت دراسة تاريخ الانسان الى دراسة تاريخ الامم والمجتمعات [64] .

ان قراءة فاحصة لعناوين المؤلفات التي يشير المسعودي الى انه قد كتب بها، تبين لنا مدى قدرته على الكتابة التأريخية القائمة على استلهام القرآن الكريم والفكر الاسلامي فضلاً عن الفكر الانساني ككل من حيث تعلقه بالديانات السماوية والامم الاخرى وعلوم الفلسفة التي سادت في عصرهم ثقافة المسلمين كذلك اهتمامه بالصراع الفكري الذي كان سمة من سمات عصره [65] .

ومما يدلل على قدرة المسعودي وتبحره بعلوم الفلسفة ومدى اهتمامه بالتاريخ والمؤرخ اذ هو يرى ان على المؤرخ الاحاطة بعلوم عصره وتوظيفها لخدمة التاريخ بينما ينكر ذلك على اصحاب الصنائع فهو يرى ان اهتمامهم بصنائعهم اولى لهم ، ودليلنا على قولنا هذا عدم رضا المسعودي على اهتمام سنان بن ثابت بن قرة الحراني بالتاريخ والذي كان اهتماماً ((بمنهج العصر الذي مزج الفلسفة في التاريخ)) [66] .

اذ يقول المسعودي عنه :

((الف كتاباً جعله رسالة ... واستفتحه بجوامع الكلام في اخلاق النفوس واقسامها ... وذكر لمعاً مما يجب على الملوك والوزراء ، ثم خرج الى اخبار يزعم انها صحت عنده ولم يشاهدها ، ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته اياه ، وايامه السالفة من ثم ترقى الى خليفة خليفة في التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجاً عن جملة اهل التأليف ، وهو وان احسن فيه ، ولم يخرجه عن معانيه ، فانما عيبه انه خرج عن مركز صناعته ، وتكلف ما ليس من مهنته ، ولو اقبل على عامة الذي انفرد به من علم اقليدس والمقطعات والمجسطي والمدورات وغير ذلك من انواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه ، واتى بما هو اليق بصنعته)) [67] .

<u>مسكويه ، ابو علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ/1030م) [68]:</u>

---

[64] ينظر الطبطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ، ج4 ، ص94-97 .

[65] ينظر : المسعودي: مروج الذهب ، ج2 ، ص66 .

[66] مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص66 .

[67] المسعودي: مروج الذهب ، ج1 ، ص16-17 .

[68] ينظر مسكويه ، أبو علي الخازن احمد بن محمد (ت 421هـ/1030م) : تجارب الامم ، تصحيح هـ.ف. امدروز ، شركة التمدن الصناعية (مصر ، 1914م) ج1 ، ص136؛ ابو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة

اختلف المؤرخون في لقبه (مسكويه) أهو لقب له ام لجده ، اذا نجد لدى ظهير الدين البيهقي انه (ابن مسكويه) [69]، بينما يلقبه ياقوت الحموي بـ (مسكويه) [70] ونجد لقبه في كتابه تجارب الامم كالاتي : ((قال الاستاذ ابو علي احمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب)) [71] .

وهو من العلماء الموسوعيين الذين حفل بهم القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكان يتميز بالفكر العلمي الواسع [72] .

نشا على المجوسية ثم اسلم ودرس علوم الاوائل وصحب ابن العميد اذ كان اميناً لمكتبته ثم التحق بخدمة بني بويه واشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق بجانب الفقه والاداب والتاريخ ونظم الشعر[73] .

انفق عمره في التأليف الكثير في الفلسفة والتربية والاداب والاخلاق والتاريخ [74] . من اشهر كتبه (تجارب الامم) يقع في ستة مجلدات، تبدأ من الخليقة وتنتهي الى سنة (369هـ/979م) وتناول تاريخ الفرس القدماء خاصة والعرب والاسلام وقد طبع من الكتاب المجلد الاول مع التحقيق والتقديم مع جزء يشمل الحوادث من سنة (198هـ/813 م) الى (251 هـ /865م) . وطبع جزءان اخران يتناولان الحوادث بين سنتي (295هـ/907م-369 هـ /979م) [75] .

، ج3 ، ص36 ؛ ظهير الدين البيهقي : تاريخ حكام الاسلام ، ص44 ؛ ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج2 ، ص88-96 ؛ ابن ابي صبيعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص131 ؛ مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ح2 ، ص95؛ سالم ، السيد عبد العزيز : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص101 ؛ روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص196-197 ؛ مرجليون : دراسات عن الؤرخين العرب ، ترجمة د. حسين نصار ، دار الثقافة (مصر ، لات) ، ص143 .

[69] ينظر : البيهقي ، ظهير الدين : تاريخ حكماء الاسلام : ص44 .

[70] ينظر : ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج2 ، ص88-96 .

[71] ينظر : مسكوية : تجارب الامم ، ج2 ، ص88-96 .

[72] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والؤرخون ، ج2 ، ص95 .

[73] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والؤرخون ، ج2 ، ص95 ؛ سالم ، السيد عبد العزيز : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص101.

[74] ينظر : ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج2 ، ص91 .

[75] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والؤرخون ، ج2 ، ص95 .

وهو من اكثر المصادر ثقة، اتخذ فيه مسكويه من احداث التاريخ وتجارب الامم امثلة ومواعظ ، ويعبر في كتابة عن خبرة بشؤون السياسة وادراك كامل وتفهم شامل للتاريخ لذلك فهو يقتصر على السياسات التي يمكن لاهل زمانة ان يفيدوا من تجاربها [76] .

كان الطبري مصدراً مهماً من مصادر مسكويه في كتابة التاريخ [77] فقد اشار مسكويه حين ارخ وفاة شيخه ابي بكر احمد بن كامل القاضي الى انه سمع كتاب التاريخ لابي جعفر الطبري منه [78] .

وبذلك فأن مصادر مسكويه في تأريخة تكون كتب المؤرخين الذين سبقوه فضلاً عن الوثائق والكتب الرسمية التي كان يطلع عليها من خلال اشتغاله في دواوين الدولة .

ويعتقد مرجليوث ان مؤهلات مسكويه لتأليف التاريخ اعظم جداً من مؤهلات الطبري اذا كانت لديه ميزة كبيرة في اخبار عصره من معرفته الشخصية بالرجال المشهورين اذ كان قادراً على الحصول على المعلومات من مصادرها الاولية [79] .

ان رؤية مرجليوث هذه متأتية من موقف الطبري من احداث عصره اذا كان حيادياً [80] . على العكس من مسكويه الذي لم يكن متحفظاً في تناوله احداث عصره فهو على الرغم من خدمته لبني بويه الا انه لم يكن يخفي جرائمهم ، بل يقسو عليهم احياناً قسوة شديدة [81].

---

[76] ينظر : سالم ، السيد عبد العزيز : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص101 ؛ روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص195 . .

[77] ينظر : روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص196-197 ؛ مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ، ص143 .

[78] ينظر : مسكويه : تجارب الامم ، ج2 ، ص184 .

[79] ينظر : مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ، ص143 .

[80] ينظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج1 ، ص7-8 .

[81] ينظر : مسكويه : تجارب الامم ، ج2 ، ص171-173 ، ج2 ، ص409 ؛ مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ، ص144 .

لقد كان كتاب (تجارب الامم) مرآة صادقة للعصر الذي كان يعيشة مسكويه فهو يدون الحيل التي يخلع او يعين بها الوزراء ، والطرق الوضيعة التي تغري الرجال لخيانة اسيادهم واقاربهم وكذلك المناصب التي تقلدها من هم ليسوا بأهل لهذه المناصب [82] .

كان مسكويه شديداً في تصرفاته حتى مع حكماء عصره فحين يساله ابن سينا عن مسألة بحضور تلامذته بصورة غير مهذبة يجيبه ((اما انت فاصلح اخلاقك اولاً حتى استخرج مسألة الجوزة)) [83] .

ان هذه الشدة كانت قد اثرت في مؤلفاتة اذ كانت جرأته في الطرح في تناول المعلومة التاريخية المعاصرة واضحةً كل الوضوح عنده ، فهو عندما يؤرخ لاحداث عصره يكون متفاعلاً معها على العكس من اخرين كأبن الجوزي مثلاً اذ لم يشر من قريب او بعيد الى موقفه من الاجتياح الافرنجي من الغرب على الدولة العربية الاسلامية [84].

وقد عني مسكويه بالاخلاق عناية خاصة اذ ان علم الاخلاق كان قد احتل مكانة بارزةً عند الفلاسفة المسلمين ، اذ يعود ذلك الى القيم الدينية والشرعية المبنية على احكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتراث الادبي العربي المنقول بالامثال والحكم وكذلك الاطلاع على فكر الاغريق الذي كان له اهمية خاصة في تفكير مسكويه من خلال اطلاعه على علوم عصره ، اذ تولدت لديه نظرية تشير الى ترقي الانسان وزيادة ذكائه وصحة تفكيره وحكمته فهو اما ان يديم النظر في الموجودات ليتناول حقائقها ، فتلوح له الامور الالهية ، واما ان تأتيه تلك الامور من الله تعالى من غير سعي منه .

---

[82] مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ، ص145 .

[83] ينظر : ظهير الدين البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، ص44 .

[84] ينظر : بطانية : د. محمد ضيف الله ، الوعظ في حياة ابن الجوزي (مقال منشور في مجلة دراسات تاريخية ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، بغداد 2001) ص78 .

وصاحب المنزلة الاولى هو (الفيلسوف) وصاحب المنزلة الثانية (النبي) الذي يتلقى فيضاً من الله تعالى فأذا التقى من وصل من اسفل بالتفلسف ، ومن تلقى من اعلى بالفيض ، اتفق رأيهما ، وصدق احداهما الاخر بالضرورة ، لآتفاقهما في تلك الحقائق(85) .

وبذلك فان مسكويه يجعل نتاج الفلسفة الصحيح لايتنافى ابداً مع الدين الحق فهي اتخاذ طريق العقل وصولاً لليقين بما نزلت به الشرائع السماوية .

مما تقدم يتبين لنا هدف مسكويه من كتابه (تجارب الامم) اذا كان هدف الكتاب استخلاص الابعاد الاخلاقية والتجارب من الاحداث التاريخية للاستفادة منها في حياة الانسان العملية ، اذ تتضح العلاقة بين التاريخ والفلسفة عند مسكويه من خلال دعوتة للسياسة الفاضلة لتدبير المملكة وسياستها بالعدل ، وتلك نظرة اسلامية ترجع في اصولها الى الفكر العربي الاسلامي وهي ليست وليدة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

فنحن نجد الدعوة للعظة والعبرة مستلهمة من القرآن الكريم منذ بواكير الدولة العربية الاسلامية فها هو الامام علي بن ابي طالب يوصي ابنه الامام الحسن عليهما السلام في النصف الاول من القرن الاول الهجري / السابع الميلادي اذ يقول له :

((احي قلبك بالموعظة وموته بالزهد وقوه باليقين وذلله بالموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبله وسر في بلادهم واثارهم وانظر ما فعلوا واين حلوا وعمن انتقلوا ... أي بني ، واني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في اثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى اخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضره ، واستخلصت لك من كل امر نخيلة – المختار المصفى – وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله)) (86) .

---

(85) ينظر : الجسر ، نديم : قصة الايمان ، ص64 .

(86) الحراني ، ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة (ت القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي) : تحف العقول عن آل الرسول ، مؤسسة الاعلمي (بيروت ، 1974) ص52 ؛ ابن ابي الحديد ، ابو عبد الحميد هبه الله (ت 656هـ/1258م) : شرح نهج البلاغة ، ج15 ، ص67–68 ؛ عبدة ، محمد : نهج البلاغة ، مكتبة النهضة (بغداد ، 1986) ج3، ص38–39.

وهكذا فقد كان مسكويه يتحدث عن تجارب العالم بدأ من الامم التي ظهرت بعد الطوفان الى زمانه منطلقاً من نظرة اسلامية للتاريخ تعتمد الفضيلة طريقاً للسعادة فهاهو يتحدث بعد عرضه لاحدى الحوادث اذ يقول :

((وانما شرفناها لينظر فيها من ياتي بعدنا ويقرأها الملوك او تقرا بين ايديهم فيعملون بمثل ذلك ويسيرون بها لينتشر ذكرهم بالجميل ويطلع الله عز وجل على نياتهم فيمكن لهم ويحسن معونتهم)) [87] وهو بذلك يؤكد النظرة الاسلامية للتاريخ القائمة على الاستذكار للعضة والاعتبار من حوادث ووقائع الماضي .

وقد تناول مسكويه فضلاً عن ذلك عجائب البلدان والمخلوقات والعمران والفلسفة [88] مما كان له الاثر الواضح في مؤرخي القرون التالية الذين تناولوا التاريخ السياسي والاجتماعي عند العرب المسلمين ، فكان ذلك تطوراً واضحاً في الرؤية التكوينية للتاريخ عندهم .

---

[87] مسكويه : تجارب الامم ، ج2 ، ص409 .

[88] ينظر : مسكويه : تجارب الامم ، ج2 ، ص158 ، 167 ، 404 ، 416 .

ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1201م) [89]

واعظ مشهور وحافظ كبير تزيد قائمة مؤلفاته على الـ (400) كتاب ورسالة [90] كتب في الحديث والفقه واللغة والادب والتفسير والشعر والاصول والتصوف والطب والوعظ ، كما انه ألف في التاريخ عدة عشرات من المؤلفات منها كتاب المنتظم في تواريخ الملوك والامم وهو التاريخ العام الذي كتبه في عشرة مجالات [91] .

يصفه روزنثال بانه ((تاريخ عالمي عظيم)) [92] فهذا الكتاب تاريخاً عالمياً يشتمل على اهتمامات تاريخية وسياسية وكذلك اهتمامات تتعلق بالمذاهب والاحوال الاجتماعية والاقتصادية [93] .

((لقد ادخل ابن الجوزي في كتابه المنتظم تقسيماً فاصلاً بين الحوادث وبين الوفيات ، فوضع الاخيرة بعد حوادث كل سنة ورتبها حسب الالف باء ، ان فصل اخبار الوفيات عن الاخبار التاريخية لم يكن جديداً ... غير ان البحث الثابت للتراجم بهذا الشكل الخاص يبدو وكأنة من ميزات ابن الجوزي الذي اهتم بصورة خاصة بالتراجم التي تفيد نقد رجال الحديث)) [94] .

---

[89] ينظر : ابن الجوزي : المنتظم ؛ ابن الجوزي : تلبيس ابليس ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج4 ، ص181 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج2 ، ص1850–1851 . القمي ، الشيخ عباس : الكنى والالقاب ، المطبعة الحيدرية (النجف ، 1956) ، ج1 ، ص402 ؛ مصطفى ، د. شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2 ، ص108 ؛ روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص196–198.

[90] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ والمؤرخون العرب ، ج2 ، ص108 .

[91] ينظر : مصطفى ، د. شاكر : التاريخ والمؤرخون العرب ، ج2 ، ص108 .

[92] روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص198 .

[93] ينظر : ابن الجوزي : المنتظم : ج5 ، ص110 ؛ ج6 ، ص18 ؛ ج6 ، ص50 ، 196 ؛ روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص199–200 .

[94] روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص198 .

ولم يشذ ابن الجوزي عن غيره من العلماء العرب المسلمين في نظرته للعقل ، اذ عده من اعظم النعم لانه الآلة الى معرفة الاله سبحانه والسبب الذي يتوصل به الى تصديق الرسل [95] .

وهو بذلك ينطلق من رؤية اسلامية لتفسير التاريخ تعتمد العقل سبيلاً للوصول الى الحقيقة التي جاء بها الرسل عليهم السلام والموصلة الى السعادة الابدية فالانبياء عليهم السلام ((جاءوا لبيان الكافي . وقابلوا الامراض بالدواء الشافي ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف)) [96] .

وهو هنا في حديثة على امراض المجتمع التي يأتي على معالجتها بالاشارة الى موقف الشريعة من كل ماسيتناوله في كتابه الا انه ينطلق من رؤية معمقة عند مؤرخي الاسلام تعتبر ان الانبياء عليهم السلام يكمل احدهم دعوة الاخر ويبين شرائع الله لكل زمان يختلف عن زمان اخر لكنه يسير وفق منهاج واحد يبدأ وينتهي بالوحدانية والعمل الصالح .

وابن الجوزي في فهمه للتاريخ ينطلق من جانبين متناقضين هما : العقل – وكما تم بيانه – من جانب والاسطورة من جانب اخر فهو في كتابه المنتظم يفسر التاريخ تفسيراً عقلانياً ومنطقياً وذلك لتمييزه الممكن من عدمه واعتماده على الملاحظة والمشاهدة في كثير من الاحداث التي يوردها ، وكان الى جانب نقده وتعليلاته ورفضه لبعض النصوص ناقلاً حرفياً او محايداً عند تضارب الاراء [97] .

ويضاف الى ذلك ايمانه بالخوارق والاساطير والمقامات والنصوص التي يرفضها العقل والمنطق ، فهو لم يلتزم بِانتقاء المادة التاريخية في الوقت الذي دعا فيه الى رفض ذكر الحوادث التي تجري مجرى الخرافات اذ لامعنى لها عنده ولافائدة من ذكرها [98] .

---

[95] ينظر : ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص2 .

[96] ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص3 .

[97] ينظر : الحكيم ، د. حسن : الفكر التاريخي عند ابن الجوزي بين العقل والاسطورة (بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية ، العدد الاول ، السنة الثالثة ، بغداد 2001م) ص63.

[98] ينظر : الحكيم ، د. حسن : الفكر التاريخي عند ابن الجوزي ، ص63 .

وقد اشار ابن الجوزي الى الاعتبار من حوادث التاريخ فهو بحكم كونه من أئمة عصره في التفسير والفقه والحديث والوعظ يكون قد مازج بين رؤيته الدينية والتاريخية لذلك فهو حين يعجز عن تفسير بعض الحوادث يترك ذلك للارادة الالهيه [99] .

ان هذه الرؤية تؤطر لنا الفكر التاريخي عند ابن الجوزي وهي لاتعني ان هنالك تناقضاً في طروحاته التاريخية فهو وكما تقدم لايختلف عن غيرة من مؤرخي العرب المسلمين ، كذلك فأن علم التاريخ وعلى مر الزمن لم يستطع ايجاد التفسير لما هو خارج عن مدارك الانسان فكل من المؤرخين القدامى والمحدثين يلجأ الى الغيبيات لسد هذا النقص في المعلومة وذلك ليس بسبة على المؤرخين .

---

[99] ينظر : الحكيم ، د. حسن : الفكر التاريخي عند ابن الجوزي ، ص64 .

ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي (ت774هـ/ 1372م)[100] :

فقيه شافعي متقن ((ومحدث محقق ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة)) [101] برع في الفقه والتفسير والنحو وامعن النظر في الرجال والعلل .

عده ابن العماد الحنبلي (الحافظ الكبير) وانتهت اليه رئاسة العلم والتاريخ والحديث والتفسير[102] من اشهر مؤلفاته تفسير القرآن العظيم وفيه يفسر القرآن بالقرآن[103] ، وله التاريخ المسمى (البداية والنهاية) ذكر فيه قصص الانبياء والامم الماضية على ماجاء في القرآن الكريم والاخبار الصحيحة ويبين فيه الغرائب والمناكير والاسرائيليات ، ثم السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي الى زمنه ، ثم ينتقل الى الفتن واشراط الساعة والملاحم واحوال الاخرة [104] .

وهو بذلك ينطلق من المفهوم الاسلامي للتفسير التاريخي اذ ان عنوان كتابه يدل دلالة شاملة على تاريخه فهو يبدأ بالمبتدأ وينتهي بالاخرة.

يعد تاريخه من خير الوثائق طبع في (14) مجلد وهو فيه قد جمع بين الحوادث والوفيات واجود مافيه السيرة النبوية [105] . اعتمد ابن كثير على الكتاب الكريم والسنة النبوية في تمييزه بين الصحيح من السقيم والخبر الاسرائيلي وغيره .

فهو قد قسم مصنفة على ثلاثة اقسام :

---

[100] ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ؛ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج11 ، ص123 ؛ ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بابناء العمر ، مطبعة دار المعارف العثمانية (الهند ، 1970) ، ج1 ، ص45–47 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص231–232 ؛ العزاوي ، عباس : التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، وزارة المعارف (بغداد ، 1957)، ص198 .

[101] ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص231–232 .

[102] ينظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بابناء العمر ، ج1 ، ص45 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج6، ص231 .

[103] ينظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص12 .

[104] ينظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص10 .

[105] العزاوي ، عباس : التعريف بالمؤرخين ، ص198 .

الاول : يورد فيه بدء الخليقة ولمعاً من تواريخ الامم الغابرة حتى يُبلغه العرب في الجاهلية ونشأة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم الوحي وظهور هداية الاسلام حتى الهجرة الى المدينة المنورة .

ومصادره في هذا القسم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكبار المؤرخين كالطبري وابن عمر والواقدي واصحاب السير [106] .

الثاني : يؤرخ فيه للعهد الراشدي فالدولة الاموية، فالعباسية وماتفرع منها من ممالك ودول ايام انحطاطها وتدهورها ، والى مابعد ان قضى عليها المغول حتى وفاته سنة (774هـ/1372م) .

الثالث : ذكر الاخرة ومظاهر قروب الساعة وعلاماتها ووعظ ديني بمخافة الله وجعل ذلك في المجلد الاخير فقط [107] . ثم يشير الى منهجيته في البحث التي يبتعد فيها عن الاسرائيليات ((الا ما اذن الشارع في نقله مما لايخالف كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو القسم الذي لايصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر ... او تسميته لمبهم ورد به شرعنا)) [108] . فقد بين الله في محكم كتابه ((خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الامم الماضين ، وكيف فعل الله باوليائه وماذا احل باعدائه وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لامته بيناً شافياً)) [109] .

والمؤرخ يقتدي بالقرآن الكريم في ايراده ذكر الحوادث التاريخية ، فيخبر بما يحتاج اليه من ذلك ، ويترك مالافائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم في فهمه طوائف من علماء اهل الكتاب مما لافائدة فيه لكثير من الناس [110] .

---

[106] ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج1 ، المقدمة .

[107] ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، المقدمة .

[108] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج1 ، ص6 .

[109] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج1 ، ص6 .

[110] ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج1 ، ص6 .

ومن ثم يبين لنا ابن كثير الدوافع التي دفعته الى اعتماد القرآن الكريم مصدراً اساسياً لمعلوماته دون غيره من سائر الكتب وذلك لما فيها من ((خبط وخلط ، وكذب ووضع ، وتحريف وتبديل ، وبعد ذلك كله نسخ وتغير)) [111] . وذلك موقف نقدي واضح للمصادر الوضعية اياً كانت لا يخلو من فهم لطبيعة النفس البشرية بما تحمله من دوافع .

ثم انه يشير الى اقوال الجيل الاول من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة النجباء رضوان الله عليهم فهو يشير الى قول الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بحق القرآن الكريم اذ يقول : ((كتاب الله فيه خبر ماقبلكم ونبأ ما بعدكم ، وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غير اضله الله)) [112] .

وكذلك يشير الى قول الصحابي ابي ذر الغفاري رضي الله عنه اذ يقول : ((لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يطير بجناحيه الا أذكرنا منه علماً)) [113].

ومما تقدم يتبين لنا بان ابن كثير بوصفه فقيهاً ومحدثاً جعل تاريخه يسير على وفق الارادة الالهيه التي اخبرت بما كان من خلال القرآن الكريم للعظة والاعتبار وفق نظرة اسلامية شاعت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي [114] ، اذ كان للهجمة الصليبية والمغولية على العالم الاسلامي اثرها في اهتمام المؤرخين بالعودة الى الاصول الاسلامية الاولى لان التمسك بها يعين الامة الاسلامية على استكشاف مواطن الضعف فيها من خلال الاتعاظ بالتاريخ لمعالجة الاوضاع السيئة التي يعيشونها .

---

[111] ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج1 ، ص7 .

[112] ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج1 ، ص7 .

[113] ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج1 ، ص7 .

[114] ينظر : سالم ، السيد عبد العزيز : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص104 .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (ت 808 هـ / 1406م) [115] :

ولد في مدينة تونس وبها نشأ وطلب العلم [116] ، ورحل الى فارس وغرناطة بالاندلس وتلمسان ثم عاد الى تونس ومنها رحل الى مصر وفيها تولى قضاء المالكية [117] سمع من الوادي اشي وقرأ القرآن على عبد الله السايري واخذ الفقه عن قاضي الجماعة ابن عبد السلام واخذ عن عبد المهيمن الحضرمي ومحمد بن ابراهيم الابلي شيخ العقول بالمغرب .

وبرع في العلوم وتقدم في الفنون ومهر في الادب والكتابة [118] ومن خلال اختلاف مذاهب شيوخه تجد ان ثقافته كانت متنوعة فقد درس الفقه والحديث والاداب [119] بجانب العلوم والفلسفة التي كان قد درسها على يد استاذه الابلي فلخص في سن العشرين من عمره مؤلف الرازي (كتاب محصل افكار المتقدمين والمتاخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين) وقد بلغنا هذا الملخص بخط ابن خلدون ، وهو الباب المحصل في اصول الدين [120] .

((وقد جلس ابن خلدون للتدريس في اكثر البلدان التي حل بها وكانت المساجد الكبرى والمدارس الشهيرة دون سواها اماكن لحلقات دروسه ، كما كان تلاميذه من صفوة الدارسين الذين صاروا علماء مرموقين فيما بعد)) [121] .

---

[115] ينظر : ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، 1979) ؛ ابن خلدون : المقدمة ؛ ابن حجر العسقلاني : ابناء الغمر بانباء العمر : ج5 ، ص327–332 ؛ السخاوي : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة (بيروت ، لات) ج4 ، ص146–147 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ،ج7 ، ص76–77 ؛ القمي ، الشيخ عباس : الكنى والالقاب ، ج1 ، ص572 ؛ العزاوي عباس : التعريف بالمؤرخين ، ص209–214 ؛ الشكعه ، د. مصطفى : الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ، الدار المصرية / اللبنانية (القاهرة ، 1988) ص19 .

[116] ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج7 ، ص76 .

[117] ينظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بابناء العمر ، ج5 ، ص327–332 .

[118] ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج7 ، ص76–77 .

[119] ينظر : العزاوي ، عباس : التعريف بالمؤرخين ، ص213 .

[120] ينظر الطالبي ، د. محمد : منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة ، وكتاب العبر (بحث منشور خلال ندوة جامعة الدول العربية ، تونس 1980) ص25.

[121] الشكعه ، د. مصطفى : الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ، ص19 .

اعتزل للقراءة والتاليف في الخامسة والاربعين من عمره في قلعة ابن سلامة في تلمسان لمدة اربع سنوات اخرج فيها كتاب (العبر) و(المقدمة) المشهورة التي هي في حقيقتها مقدمة للكتاب ، والتي اثارت كثيراً من الجدل للجرأة التي اتسمت بها محتوياتها التي صارت نظريات جديدة في علمي التاريخ والاجتماع [122] .

وابن خلدون شأنه شأن بعض مؤرخي القرن الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلادين فقد اشتغل بالسياسة اذ تقلد مختلف المناصب كالوزارة والسفارة والحجابة [123] وقد افادته السياسة كثيراً ، مما كان لها الاثر الواضح على طروحاته الفكرية فضلاً عن ثقافته التي مر ذكرها .

اشتهر ابن خلدون وذاع صيته لارتباط اسمه بنظرية استحدثها واطلق عليها (علم العمران البشري) او (الاجتماع الانساني) اذ اهتم الدارسون الاوربيون والعرب بهذه النظرية اهتماماً كبيراً .

وقد اختلفت اراء الدارسين في الاراء التي تبناها ابن خلدون في (مقدمته) فمنهم من جعله (تقدمياً) اشتراكياً ، ومنهم من جعله سلفياً ومنهم من جعله عدواً للعرب مستصغراً لشأنهم حاملاً عليهم [124] ، ومنهم من انصفه [125] الا ان هولاء جميعاً لو تتبعوا التطور الذي حصل للفكر التأريخي عند العرب المسلمين ، ومصادره الفكرية بدأ من صدر الرسالة وصولاً الى عصر ابن خلدون بدون تحيز وبموضوعية مجردة من التعصب لتبين لهم ان ((كل مفكر ان هو الا حلقة في سلسلة الفكر الذي سبقه ، ويربط حلقات السلسلة التي من المحتم ان تمتد

---

[122] ينظر : الشكعه ، د. مصطفى : الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ، ص20 .

[123] ينظر : الشكعه ، د. مصطفى : الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ، ص21-23 .

[124] ينظر : الشكعه ، د. مصطفى : الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ، ص33 .

[125] ينظر : بن ميلاد ، د. محجوب : مكانة ابن خلدون في تاريخ الفكر الاسلامي ، (بحث منشور خلال ندوة جامعة الدول العربية ، تونس ، 1980) ص241-271 .

بعده . ولايمنع هذا على الاطلاق من ان يضفي على اراء سابقيه جدة منهجه وطرفته ، واصالة فكره ونبوغه الذاتي)) [126] .

اذ ((مامن فكرة او نتيجة توصل اليها – ابن خلدون – الا ونجدها لدى السابقين من مفكري الاسلام)) [127].

((فالدولة والعصبية والعوارض الذاتية ، نجدها من قبل في (الشوكة) لدى المسعودي والغزالي و (عوارض السياسة) لدى الماوردي (ت 450هـ/1058م) وغيره من مفكري الاشاعرة ، وحوادث التأريخ وعوارضه لدى من سبقه من مؤرخين متعددين وما من نتيجة او مسلمة توصل اليها ، الا نجد لها مثيلاً من قبل)) [128] .

ان ذلك ليس مما ينقص من قيمة ابن خلدون وعلميته بل على العكس من ذلك اذ ان مقدمته كانت محصلة مهمة للفكر التاريخي الاسلامي قبله وصياغة رائعة لكل اراء الفلاسفة والمؤرخين الذين بدأوا ومنذ مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، مواجهة حالة التردي في المجتمع العربي الاسلامي من خلال استلهام دروس التاريخ للوصول الى الصيغة المثلى لمعالجة حالة التردي [129].

وهكذا الحال عند ابن خلدون فقد ((عمد عند اوليات تسجيل افكاره الى الاهتمام بعلم التاريخ والتركيز على خطورته لكونة الاساس الوحيد للنظرية الجديدة التي اهتدى اليها – حسب رأيه – والتي اسماها علم الاجتماع الانساني والعمران البشري)) [130] .

---

[126] ابن الازرق ، ابو عبد الله (ت 896هـ/1466م) : بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، وزارة الاعلام ، (بغداد 1977) ، ج1 ، ص24–25 ، مقدمة المحقق .

[127] ابن الازرق ، ابو عبد الله : بدائع السلك في طبائع الملك ، ج1 ، ص5 .

[128] ابن الازرق ، ابو عبد الله : بدائع السلك في طبائع الملك ، ج1 ، ص5 ؛ ينظر : العاملي ، د. مصباح : ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليوناني باكتشافه حقائق الفلسفة ، الدار الجماهيرية (طرابلس ، 1988م) ص25–27.

[129] ينظر : اسماعيل ، د. محمود : نهاية اسطورة (نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل اخوان الصفا ، ص59 ،63، 76 ، 91 ، 108 ، 115 ، 149 ، 154 .

[130] الشكعه ، د. مصطفى : الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ، ص34 ؛ الطالبي ، د. محمد : منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر ، ص29 . .

يبدأ ابن خلدون مقدمته مشيداً بعلم التاريخ اذ يقول :

((ان فن التاريخ من الفنون التي يتداولها الامم والاجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال ، وتتنافس فيه الملوك و الاقيال ، ويتساوى في فهمة العلماء والجهال ، اذ هو في ظاهرة لايزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول ، وتنمى فيها الاقوال ، وتضرب فيها الامثال ، وتطرف بها الاندية، اذا غصها الاحتفال ...)) [131] .

ويستطرد موضحاً اهمية التاريخ في دراسة الامم واسباب الحوادث ومسبباتها اذ يقول :

((... وتؤدى الينا بشأن الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق فهو ذلك اصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد في علومها وخليق ، وان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها ،...)) [132] .

وقد رتب ابن خلدون كتابه على مقدمة وثلاثة كتب :

المقدمة : في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، والالماع بمغالط المؤرخين .

الكتاب الاول : في العمران وما يعرض فيه من العوارض الذاتية ، من الملك والسلطان ، والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ، وما لذلك من العلل والاسباب .

الكتاب الثاني : في اخبار العرب ، واجيالها ودولهم ، منذ مبدأ الخليقة الى هذا العهد – عهده – وفيه الالماع ببعض من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم ، مثل النبط ، والسريانيين ، والفرس ، وبني اسرائيل ، والقبط ، واليونان ، والرومان ، والترك ، والافرنجة .

---

[131] ابن خلدون : المقدمة ، ص2–3 .

[132] ابن خلدون : المقدمة ، ص2–3 .

الكتاب الثالث : في اخبار البربر ومن وليهم من زناته ، وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصةً من الملوك والدول [133] .

كان ابن خلدون تحدوه الرغبة الملحة للفهم والاعتبار وذلك لانه لم يكن انطلاقاً مؤرخاً محترفاً قاصراً همه على الجمع والتسجيل ، وكان قد اهتم اولاً بالحكمة عن طريق الرازي وابن رشد من خلال استاذه الابلي كما مر بنا .

وكان عالج السياسة وعرف المرارة وجرب الفشل وكان خاصة كغيره من اصحاب اليقظة من مفكري عصره ممن ساروا في الارض ... فقاسوا بحسرة عمق الانحطاط ... لما شاهدوا من احتضار الحضارة الاسلامية في ايامهم [134]. فهاهو يقول واصفاً عصره :

واما لهذا العهد وهو اخر المائة الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة ... هذا الى مانزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيَّف بالامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها ... وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقراض فبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها واذا تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم بأسره وكانه خلق جديد ونشاة مستانفة وعالم محدث [135] .

ولكل ما تقدم فأن ابن خلدون يشير الى دور المؤرخ العالم في هذه المرحلة اذ يقول: ((فاحتاج لهذا العهد من يدون احداث الخليقة والافاق واجيالها والعوائد والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفوا مسلك المسعودي لعصره ليكون اصلاً يقتدي به من يأتي من المؤرخين من بعده)) [136].

---

[133] ينظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص4 .

[134] ينظر :الطالبي ، د. محمد: منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر، ص32-33.

[135] ينظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص25-26 .

[136] ابن خلدون ، المقدمة ، ص26 .

وبعد ماتقدم هل نحن بحاجة للتأكيد بان ابن خلدون في كل ما تقدم كان كسالفيه من المؤرخين الذين عاصروا تمزق الدولة العربية الاسلامية الى دويلات مزقها التناحر والتنافس فشمروا عن سواعدهم وشحذوا اذهانهم لمعالجة الاوضاع السيئة للمجتمع العربي الاسلامي انذاك ليكونوا قدوة صالحة لمن بعدهم كما يريد ابن خلدون فقد شعر انه يعيش فترة ازمة كونية لذلك فانه سيقتفي اثر المسعودي في تدوينه (احوال الخليقة) لكنه اثر ان يكون اكثر دقة ونقد في تسجيل الحوادث وتبيان العلل وتلك كانت نقطة الانطلاق في مقدمته [137].

اذ ان ((عهود النكبات في التاريخ الانساني كانت دائماً حافزاً الى التفكير في الماضي وفي المصير ، ومثيرة للاهتمام في تفسير التاريخ وتعليله)) [138] . وهكذا فقد كان جهد ابن خلدون في دراسة العمران البشري واستخراج قوانين التطور الاجتماعي قد جاء في عهد كان فيه العالم الاسلامي المترامي الاطراف قد انقسم الى دول متناحرة تُغير عليها جحافل الغزاة ، وكانت مدينته قد سارت خطى واسعة في طريق الانحطاط والانهيار فأثار هذا كله في نفس ابن خلدون تساؤلات خطيرة عن نشوء الامم وتطورها وتداعيها ، وجاءت تلك المقدمة التي نظم بها هذه التساؤلات واجوبته عنها فكانت اثراً خالداً من ابرز أثار التفكير التاريخي والاجتماعي [139].

---

[137] ينظر : الطالبي ، د. محمد : منهجية ابن خلدون وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر ص33-34 .

[138] زريق ، قسطنطين : الاعمال الفكرية العامة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط2 (بيروت ، 1996) مجلد1، ص384.

[139] زريق ، قسطنطين : الاعمال الفكرية العامة ، مجلد 1 ، ص348 ؛ ينظر : مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ، ص171-172.

السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ/ 1497 م) [140]**:**

من مشاهير مؤرخي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي [141] يمثل امتداداً منهجياً لاهل الفقه والحديث [142] الذين اهتموا بدراسة التاريخ وله عدة مؤلفات في الحديث والتاريخ منها (الضوء اللامع في علماء القرن التاسع) وهو دائرة معارف في علماء القرن التاسع الهجري و(الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ) وهو من اجل الاثار بل هو دائرة معارف تأريخية لمؤرخي العرب والمسلمين [143] ، فضلاً عن ذلك فهي محاولة جدية ((لوضع هيكل للدراسات المعنية بدراسة التاريخ)) [144].

ومن جلّ فوائد التاريخ عند السخاوي انه : ((يُذكر فيه من اخبار الانبياء صلوات الله عليهم وسننهم فهو مع اخبار العلماء ومذاهبهم ، والحكماء وكلامهم ، والزهاد والنساك ومواعضهم ، عظيم الغناء ، ظاهر المنفعة ، فمما يصلح الانسان به امر معاده ودينه وسريرته في اعتقاداته ، وسيرته في امور الدين ، وما يصلح به امر معاملاته ومعاشه الدنيوي)) [145] .

والسخاوي بذلك ينطلق من رؤية اسلامية لتفسير التاريخ فهو ينصرف الى بدء الخلق ((اذ هو فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت بل عما كانت في العالم)) [146] .

فالسخاوي وبالرغم من كونه متأثراً باسلوب المحدثين في التاريخ الا انه في مفهومه للتاريخ يقترب من ابن خلدون ((فهو يشترك معه في اعتبار التاريخ (وقا

---

[140] السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ؛ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب ، ج8 ، ص15 ؛ العزاوي ، عباس : التعريف بالمؤرخين ، ص252–253 ؛ روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص148، 230–231 .

[141] ينظر السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ، ص381 .

[142] العزاوي ، عباس : التعريف بالمؤرخين ، ص252 .

[143] العزاوي ، عباس : التعريف بالمؤرخين ، ص252–253 .

[144] الحديثي ، د. نزار : علم التاريخ عند العرب ، فكرته وفلسفته ، مطبعة المجمع العلمي (بغداد ،2001) ص139.

[145] السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ، ص400 .

[146] السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ، ص385 .

نسبياً في ادراكه ماوراء الوقائع من اسباب فالوقائع والدول وظواهر الزمن الاخرى لها اسباب في اقبالها وادبارها ، في قيامها وانقراضها وان الاعمال التي نقرأ عنها ليست الا ظاهراً لتدبر)) [147] .

((ان السخاوي حرر التأريخ من اي قوة خارجية عندما حدد موضوعة (الانسان والزمان) و مسائله احوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة في الانسان والزمان)) [148] .

ان السخاوي عندما يحدد موضوع التاريخ بالانسان والزمان ومسائلهما يكون قد اعطى الاسس النهائية لجعل التاريخ علماً ((مستقلاً له منهجية محدودة واضحة)) [149] وهو لايختلف عن غيره من علماء المسلمين ومؤرخيهم فهو يعتمد العقل مقياساً بعد ان يذكر اهمية التاريخ لانه يذكر لنا ((اخبار الملوك وسياساتهم ، واسباب مبادئ الدول واقبالها ، ثم سبب انقراضها ، وتدبير اصحاب الجيوش والوزراء وما يتصل بذلك من الاحوال التي يتكرر مثلها واشباهها ابداً في العالم ، غزير النفع كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرب الامور باسرها وباشر تلك الاحوال بنفسه فيغزر عقله ويصير مجرباً غير غُر ولا غمر)) [150] .

والسخاوي لايتحدد برؤيته بالعظة من خلال دراسة احوال الامم وسياستها فقط بل يتعدى ذلك الى اننا من خلال التاريخ نتعرف على انواع الرياسات والسياسات والاخلاق اذ يعلم منه انواع الفضائل وكيفية اكتسابها ، وانواع الرذائل وكيفية اجتنابها وكذلك الاستفادة منه في الامور الاجتماعية [151] .

---

[147] الحديثي ، د. نزار : علم التاريخ عند العرب ص141 ؛ ينظر : السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ، ص400 .

[148] الحديثي ، د. نزار : علم التاريخ عند العرب ، ص142.

[149] الحديثي ، د. نزار : علم التاريخ عند العرب ، ص164.

[150] السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، ص400.

[151] ينظر : السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، ص451.

وفي تحليل شامل ناتج عن نظرة ثاقبة للسخاوي من خلال اطلاعه الواسع على التاريخ الاسلامي الذي يتبين لنا من خلال دراسته لعدد كبير من المؤرخين العرب المسلمين ومؤلفاتهم فقد استعرض جل مؤلفاتهم في كتابه الاعلان بالتوبيخ اذ يقول:

((فالمؤرخون مقاصدهم مختلفة، فمنهم من اقتصر على ذكر الابتداء او على الملوك والخلفاء ، واهل الاثر يؤثرون ذكر العلماء والزهاد ، يحبون احاديث العلماء . وارباب الادب يميلون الى اهل العربية والشعراء . ومعلوم ان الكل مطلوب ، والجميع محبوب وفيه مرغوب . وكل من التزم شيئاً فالغالب عدم خروجه عن موضوعه ، وان لم يمكنه الاستيفاء لمجموعه ، والسعيد من جمعه في ديوان ، واودعه من غير كبير خلل ولا نقصان)) [152] .

والسخاوي هنا يؤطر دعوتنا من خلال هذه الاطروحة لدراسة الفكر التاريخي عند العرب المسلمين من خلال دراسة كلية اذ ان المؤرخين العرب المسلمين على مر العصور الاسلامية ومن قبلهم العرب قبل الاسلام لم يكونوا بعيدين عن الوعي بالتاريخ من خلال رؤية كلية للكون والحياة تطورت وتأطرت بتطور الدول العربية الاسلامية فنحن نجد عند الشاعر والخطيب والفقيه والمحدث واهل المذاهب والصوفية وعمال الادارة والمؤرخين : كل من هؤلاء نجد عنده فكراً تأريخياً ينطلق من ايمانه بالمصادر الاساسية للفكر العربي الاسلامي .

[152] السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، ص461.

خلاصه البحث :

لقد توصلت هذه الاطروحة من خلال البحث الى عدة نتائج تعد حلقه لاتنفصل عن حلقات البحث العلمي المستمر اذ ان الحاجه لدراسات من هذا النوع مهمه للكشف عن ريادة العرب المسلمين في الفكر التاريخي فمن هذه النتائج :

1- يعد التوحيد مركز الدائرة في الرؤية الاسلامية للتاريخ الانساني .

2- عدت الكتب السماوية التاريخ معبرا عن السنن الالهية التي تضع الاسس والقوانين التي تحدد وجود ومصير الانسان .

3- ان التكوين التاريخي في القران الكريم ومن خلال تأكيده التمسك بالوحدانية وتوالي النبوات اعطى للفكر التاريخي بعدا حدد دور الانسان على مر الزمان .

4- اشارة القرآن الكريم للوقائع والحوادث الواقعة للأمم السالفة من خلال القص القرآني جعلت من التاريخ زماناً متحركاً على ارض الواقع وعلى مر العصور .

5- كان الادب العربي في فترة ما قبل الاسلام متمثلاً بالشعر والخطب المنسوبة لحكماء العرب وشعراءهم وكذلك ما وصلنا من الامثال حافلاً بالفكر التاريخي اذ جسد العرب انذاك الفعل الانساني على المكان بوعي تام على مرور الزمان من خلال ربطه بين الماضي والحاضر والمستقبل بوضوح .

6- كان للجدل السياسي والمذهبي اثر كبير في التكوين التاريخي في الفكر العربي الاسلامي انعكس على النتاج الفكري بعد اتساع حرية التعبير عن الرأي من خلال تنوع مقولات اهل المذاهب والمؤرخين والفلاسفة في الظاهرة التاريخية الواحدة .

7- ادى التنوع السياسي الى وجود حماية غير مباشرة لأهل الفكر وكذلك الى وجود حالة التنوع الفكري ، أذ حقق ذلك الحرية للمفكرين والمؤرخين العرب المسلمين للكتابة في شتى التواريخ أذ تعددت مجالاته .

8-أن جميع نواحي الفكر العربي الآسلامي كانت تمثل تواريخاً أذ ارخ اهل الملل والنحل والفلاسفة كل في مجالاته من خلال عرضه لما يريده ونقده لمن يخالفه .

9-افاد اهل السياسة والرياسة من محاولات الفلاسفة العرب المسلمين في تحليلهم لبعض الوقائع التاريخية ، اذ وضع هؤلاء معالجات فكرية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتردية في عهودهم كانت تنطلق من حاجة انسانيه لاتختلف عن غيرها من الامم ولمجتمعات الاانها كانت رائدة فيما يتعلق بالواقع العربي الاسلامي .

10-كان للتمزق السياسي للدولة العربية الاسلامية والتسلط والغزو الاجنبي اثر في تطور فكرة التاريخ عند العرب المسلمين اذ تمت دراسة احوال المجتمع برؤى تاريخية لاستنباط قوانين تطورية في حركة التاريخ من خلال دراسة النماذج البشرية الماضية (دولاً ، ومجتمعات).

11-ان الرؤية العربية الاسلامية للتاريخ واحدة فهي تنطلق من النظرة الالهية التي جعلت من الانسان والفضيلة والثواب والعقاب اساس العلاقة الجدلية في الوجود الانساني .

12- مثل التاريخ مادة اساسية لبعض المؤرخين ممن وجده مادة اساسية لممارسة الوعظ الديني سبيلاً للمعالجة السياسة والاجتماعية .

13- ان فلسفة التاريخ من حيث كونها البحث عن السببية في وقوع الحوادث لم تكن وليدة القرن الثامن عشر الميلادي بل انها ذات جذور عربية اسلامية واضحة ولفترة متقدمة.

اولاً : الكتب السماوية

- القرآن الكريم .
- التوراة .
- الانجيل .

ثانياً : المصادر الاولية

- **ابن الاثير : أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الحزري (ت 630هـ/1232م) .**

– الكامل في التاريخ ، المطبعة المنيرية (مصر 1357هـ) .

- **ابن الازرق ، ابو عبد الله (ت 896هـ/1466م).**

– بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، وزارة الاعلام (بغداد ، 1977م) .

- **ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم (ت 668هـ/1270م).**

– عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، مكتبة دار الحياة (بيروت ، 1965م).

- **اخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري) .**

– رسائل اخوان الصفا ، تصحيح خير الدين الزركلي ، المطبعة العربية (مصر 1928م) .

- **البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة (ت 256هـ/870م) .**

– صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتب الايمان (مصر،2003م).

- **البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م).**

– فتوح البلدان ، مراجعة رضوان محمد رضوان ، المكتبة التجارية الكبرى (مصر ، 1959م).

- **البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي (ت 440هـ/1048م) .**

– الاثار الباقية عن القرون الخالية (لامكان ، لات).

- **البيهقي ، ظهير الدين (ت565هـ/1169م) .**

– تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق محمد كرد علي ، مطبعة الترقي (دمشق،1946م).

- **الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 297هـ/909م) .**

– سنن الترمذي، شرح الامام ابو بكر بن العربي المالكي، مطبعة الصاوي (مصر ، 1934م) .

- **ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت 874هـ/1471م).**

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (مصر ، لات) .

- **ثعلب، ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد (ت 275هـ/888م).**

– شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ، الدار القومية (مصر، 1964م) .

- **الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت حوالي 255هـ/868م).**

– البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبي ، دار الفكر (بيروت، لات) .

- **الجمحي ، محمد بن سلام (ت 231هـ/845م).**

– طبقات فحول الشعراء ، مطبعة المدني (السعودية ، 1980م) .

- **ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ/1200م).**

– تلبيس ابليس ، دار الكتب العلمية ، ط2 (بيروت، 1368هـ) .

– المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، الدار الوطنية (بغداد، 1990م) .

- **ابن ابي حاتم، الرازي، ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم ادريس (ت 327هـ/938م).**

– الجرح والتعديل ، دار احياء التراث العربي (بيروت، 1952م) .

- **حاجي خليفة /مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ) .**

– كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، المكتبة الاسلامية (طهران،1967م).

- **الحارث بن حلزة اليشكري.**

–الديوان، تحقيق هاشم الطعان، مطبعة الارشاد (بغداد، 1969م) .

- **ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي (ت 852هـ/1448م).**

– الاصابة في تمييز الصحابة ، دار احياء التراث العربي (بيروت، لات) .

– انباء الغمر بابناء العمر ، مطبعة دار المعارف (الهند، 1970م) .

- **ابن ابي الحديد ، ابو عبد الحميد بن هبة الله (ت656هـ/1258م) .**

– شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي (مصر، 1961م) .

- **الحراني ، ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة (ت القرن الرابع الهجري) .**

– تحف العقول عن آل الرسول ، مؤسسة الاعلمي ، ط5 (بيروت، 1974م) .

- **ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت 367هـ/977م).**

– كتاب صورة الارض ، مكتبة دار الحياة (بيروت، 1992) .

- **ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت حوالي 414هـ/1023م).**

– الامتاع والمؤانسة ، تحقيق احمد امين ، واحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط2 (مصر، لات) .

– المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية (مصر ، 1929م) .

- **الخطيب البغدادي، الحافظ ابو بكر احمد بن علي (ت 463هـ/974م).**

– تاريخ بغداد، المكتبة السلفية (المدينة المنورة ، لات) .

- **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م).**

– التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، دار احياء الكتاب اللبناني (بيروت ، 1979م) .

– المقدمة ، دار العودة (بيروت ، لات) .

- **ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/1283م).**

– وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة (مصر، 1948م) .

- **خليفة بن خياط (ت 240هـ/854هـ).**

–تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري ، دار الاداب (النجف الاشرف، 1967م) .

- **الخوارزمي ، محمد بن احمد بن يوسف (ت 386هـ/996م).**

– مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق (القاهرة، 1342هـ)

- **ذو الاصبع العدواني ، حرثان بن محرث.**

– الديوان ، تحقيق عبد الوهاب بن محمد العدواني ومحمد نايف الدليمي ، مطبعة الجمهور (الموصل، 1973م) .

- **زهير بن ابي سلمى.**

– الديوان تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية(حلب، 1970م) .

- **الزوزني ، ابو عبد الله الحسين بن احمد (ت 480هـ/1087م).**

– شرح القصائد السبع ، عيسى البابي الحلبي ، ط3 (مصر، 1959م) .

● **السجستاني ، ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان البصري (ت 235هـ/849م).**

- كتاب المعمرين من العرب وطرف من اخبارهم وماقالوه في منتهى اعمارهم ، مطبعة السعادة (مصر، 1905م) .

● **السخاوي ، محمد شمس الدين (ت 902هـ/1497م).**

- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ، مطبوع مع كتاب روزنثال (علم التاريخ عند المسلمين) مكتبة المثنى (بغداد، 1963م) .
- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة (بيروت ، لات).

● **السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت 562هـ/1166م).**

- الانساب ، دائرة المعارف العثمانية (الهند، 1979م) .

● **السهيلي ، عبد الرحمن ، (ت 581هـ/1185م) .**

- الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة (مصر، 1967م) .

● **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911هـ/1605م) .**

- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار العهد الجديد (بيروت، 1952م) .

● **الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت 436هـ/1044م).**

- الامالي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ط2 (بيروت، 1961م) .

● **الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت 764هـ/1362م).**

- الوافي بالوفيات ، ط2 (فيسبادون ، 1961م) .

● **الصولي ، ابو بكر محمد بن يحيى (ت 336هـ/947م).**

- ادب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الاثري (القاهرة، 1341هـ) .

- **الطبري ، محمد بن جرير (ت 310هـ/923م).**
  - تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ط5 (القاهرة، 1987م) .
  - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ط2 (مصر، 1954م) .
- **الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد (ت 520هـ/1126م).**
  - كتاب سراج الملوك، المكتبة المحمودية (مصر، 1935م) .
- **طرفة بن العبد .**
  - الديوان ، تصحيح مكس سلفسون ، مطبعة برطرند (باريس، 1900م).
- **ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف النمري القرطبي (ت 463هـ/1070م).**
  - الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، بهامش كتاب الاصابة في تمييز الصحابة ، دار احياء التراث العربي (بيرت، 1328هـ) .
- **ابو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت 211هـ/826م).**
  - ايام العرب قبل الاسلام ، تحقيق عادل جاسم البياتي ، دار الجاحظ (بغداد، 1976م) .
  - مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة (مصر، 1954م) .
- **ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ).**
  - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدسي (مصر، 1350هـ) .
- **عنترة بن شداد .**
  - الديوان ، شرح امين سعيد ، الطبعة العربية (مصر ، لات) .
- **الغزالي ، ابو حامد محمد بن احمد (ت 505هـ/1111م).**

- الاقتصاد في الاعتقاد ، مطبعة منير (بغداد، لات) .
- المنقذ من الضلال، تحقيق د. جميل صليبا وكامل عياد، دار الاندلس(بغداد لات).
- ميزان العمل ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف (مصر، 1964) .

● **الفارابي ، ابو نصر محمد (ت 339هـ/950م).**

- كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة ، شرح ابراهيم جزيني دار القاموس الحديث (بيروت، لات).

● **الفيروزاباذي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1413م).**

- القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة (مصر، لات) .

● **القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت 356هـ/966م).**

- امالي القالي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر، 1975م) .

● **الكافيجي ، محي الدين محمد بن سليمان (ت 879هـ/1474م).**

- المختصر في علم التاريخ، مطبوع مع كتاب روز نثال (علم التاريخ عند المسلمين) مكتبة المثنى (بغداد، 1963م).

● **الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764هـ/1362م).**

- عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، دار الرشيد (بغداد، 1980م) .

● **ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل (ت 774هـ/1372م).**

- البداية والنهاية ، دار المعارف (بيروت، 1966م) .
- تفسير القران العظيم،تحقيق،محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة الصفا (مصر، 2002م).
- قصص الانبياء ، مطبعة الوسام (بغداد ، 1983م) .

● **الكرد يزي ، ابو سعيد عبد الحي (ت اواسط القرن الخامس الهجري).**

- كتاب زين الاخبار ترجمة محمد بن تاويت ، مطبعة محمد الخامس (فاس، 1972م) .

- **ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ/819م).**

– الاصنام ، تحقيق احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية (القاهرة، 1914م) .

- **المحاسبي ، ابو عبد الله الحارث بن اسد (ت 243هـ/857م).**

– رسالة المسترشدين، تحقيق عبد الفتاح ابو رغدة ، المطبوعات الاسلامية (حلب، 1964م) .

- **المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م).**

– التنبيه والاشراف ، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ، المكتبة التاريخية (القاهرة، 1938م) .

– مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ، الطبعة الثالثة (مصر، 1964م) .

- **مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد (ت 421هـ/1030م) .**

– تجارب الامم،تصحيح هـ.ف.امدروز،شركة التمدن الصناعية (مصر،1914م).

- **مسلم بن الحجاج ، ابو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261هـ/874م).**

– صحيح مسلم،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار احياء التراث العربي (بيروت لات)

- **المفضل الضبي (ت نحو 178هـ/794م).**

– امثال العرب ، مطبعة الحوادث (القسطنطينية، 1300هـ) .

- **ابن منظور ، عبد الله محمد بن المكرم بن ابي الحسن (ت 711هـ/1311م).**

– لسان العرب المحيط ، تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي (بيروت، لات) .

- **الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت 518هـ/1124م).**

– مجمع الامثال (مصر، 1352هـ) .

- **ابن النديم ، محمد بن اسحاق الوراق (ت حوالي 385هـ/999م).**

- الفهرست (القاهرة، لات) .

●**النرشخي، ابو بكر محمد بن جعفر (ت 348هـ/959م).**

- تاريخ بخارى، ترجمة د. امين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف (مصر، لات) .

●**نظام الملك، حسن بن علي (ت 485هـ/1092م) .**

- سياسة نامة (باريس، 1891م) .

●**ابن هشام ، عبد الملك المعافري (ت 218هـ/833م).**

- السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا واخرون ، دار احياء التراث العربي ،ط3 (بيروت، 2000م) .

●**اليعقوبي ، احمد بن واضح (ت 292هـ/904م).**

- تاريخ اليعقوبي ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1999م).

ثالثاً : المصادر الثانوية

(1) المصادر العربية

- **اسماعيل ، د. عز الدين .**

– المكونات الاساسية للثقافة العربية ، مطبعة الاديب (بغداد، 1971م) .

- **اسماعيل ، د.محمود .**

– نهاية اسطورة ، دار قباء (القاهرة، 2000م) .

- **الاطرقجي ، واجدة مجيد .**

– التشبيهات القرانية والبيئة العربية ، منشورات وزارة الثقافة والفنون (بغداد، 1978م) .

- **باسيل ، د. فكتور سعيد .**

– منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت،لات).

- **باقر ، طه .**

– مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، مطبعة الحوادث (بغداد،1973م) .

- **بدوي ، عبد الرحمن.**

– دور العرب في تكوين الفكر الاوربي، دار القلم ، ط3 (بيروت، 1979م) .

- **بو ، دبوس رجب .**

– ما الفلسفة ، الدار الجماهيرية للتوزيع والاعلان ، (الجماهير الليبية،1994م) .

- **الجابري ، د. محمد عابد .**

– تكوين العقل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط7 (بيروت،1998م).

– المثقفون في الحضارة العربية،مركز دراسات الوحدة العربية،ط2 (بيروت،2000م).

- **الجسر ، نديم .**

- قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقران، الدار العربية ،ط3 (بيروت،1969م) .

●جياووك ، د. مصطفى عبد اللطيف .

- الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، وزارة الاعلام (بغداد، 1977م) .

●حتي ، فيليب ، واخرون .

- تاريخ العرب (مطول) دار الكشاف (بيروت، 1952م) .

●الحديثي ، د. نزار .

- علم التاريخ عند العرب ، فكرته وفلسفته ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد، 2001م) .

●خليل ، د. عماد الدين.

- التفسير الاسلامي للتاريخ ، شركة اسيا للمطبوعات ، ط4 (الموصل،1986م) .

- حوار في المعمار الكوني ، دار الثقافة (قطر،1987م) .

- مدخل الى موقف القران الكريم من العلم مطبعة الزهراء ، ط2 (الموصل، 1985م) .

●الخوئي ، السيد ابو القاسم الموسوي.

- البيان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الاعلمي، ط3 (بيروت،1974م) .

●الدوري ، د.عبد العزيز.

- بحث في نشاة علم التاريخ عند العرب ، دار المشرق (بيروت،1983م) .

●الدوري ، د. عبد العزيز ، واخرون .

- تفسير التاريخ ، مطبعة الارشاد (بغداد، لات) .

●ريان ،د. رجائي.

- مدخل لدراسة التاريخ ، دار ابن رشد (عمان، 1986م).

●**زريق ، قسطنطين .**

– الاعمال الفكرية العامة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 (بيروت،1996م) .

●**زيادة ، د. معن .**

– معالم على طريق تحديث الفكر العربي، سلسلة عالم المعرفة (الكويت،1987م) .

●**زيدان ، عبد الكريم .**

– السنن الالهية ، دار احسان (بيروت، لات) .

●**سالم، السيد عبد العزيز.**

– التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي (مصر، 1967م).

●**سعد ، د.فاروق .**

– تراث الفكر الانساني قبل الامير وبعده (منشور مع كتاب الامير : نيقولا ميكافيلي ، دار الافاق الجديدة ، ط6 (بيروت، 1979م) .

●**سوسة ، د.احمد .**

– العرب واليهود في التاريخ ، دار الاعتدال ، ط2 (دمشق، لات) .

●**الشكعة ، د. مصطفى.**

– الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة، 1988م).

●**الشماع ، صالح .**

– مشكلات الفلسفة ، شركة الطبع والنشر الاهلية (بغداد، 1960م).

●**شمس الدين ، محمد مهدي.**

– بين الجاهلية والاسلام ، دار الكتاب اللبناني والمصري (بيروت، 1975م).

●**صالح، احمد العلي.**

- تطور الحركة الفكرية في صدر الاسلام،مؤسسة الرسالة،(بغداد، لات).

● **صبحي ، محمود احمد.**

- في فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية (مصر، لات) .

● **الصدر ، محمد باقر .**

- فلسفتنا ، دار التعارف للمطبوعات (بيروت، 1998م).

● **الصفدي ، مطاع .**

- موسوعة الشعر العربي ، دار الشعب (بيروت، 1971م) .

● **الطبطبائي ، محمد حسين.**

- الميزان في تفسير القران ،مؤسسة الاعلمي ، ط3 (بيروت، 1974م).

● **العاملي ، د.مصباح.**

- ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليوناني بإكتشافه حقائق الفلسفة ، الدار الجماهيرية (طرابلس، 1988م) .

● **عابدين ، عبد المجيد.**

- الامثال في النثر العربي القديم ، دار المعرفة الجامعية (مصر، 1989م) .

● **عبد الباقي ، د. احمد.**

- معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 1991م).

● **ابن عبد العالي ، عبد السلام.**

- الفلسفة السياسية عند الفارابي ، دار الطليعة ، ط2 (بيروت، 1981م) .

● **عبده ، محمد.**

- نهج البلاغة ، مكتبة النهضة (بغداد، 1986م) .

● **العزاوي ، عباس.**

- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، وزارة المعارف (بغداد، 1957) .

● **علي ، د. جواد.**

- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ،ط2 (بيروت، 1978م) .

● **عمر ، د. فاروق.**

- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، مكتبة المثنى ، ط2 (بغداد، 1977م) .

● **غالب ، د. مصطفى.**

- اخوان الصفا وخلان الوفا ، منشورات مكتبة الهلال (بيروت، 1982م) .

● **فروخ ، عمر.**

- تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، ط3 (بيروت، 1972م) .

● **فضل الله ، محمد حسين.**

- الحوار في القران الكريم، دار الملاك، ط2 (بيروت، 2001م) .

● **الفؤادي ، عبد الهادي.**

- القصص في العصر الاسلامي ،دار الزمان (بغداد، 1966م) .

● **القرضاوي ، د.يوسف.**

- ملامح المجتمع المسلم ، مطبعة العرفان (عمان 1996م) .

● **القمي ، الشيخ عباس.**

- الكنى والالقاب ، الطبعة الحيدرية (النجف، 1956م) .

● **مال الله ، علي محسن.**

- اكثم بن صيفي، حياته، خطبه ، امثاله ، شعره، مطبعة الرشاد (بغداد،1989م) .

● **محمد ، د. فاضل زكي.**

- الفكر السياسي العربي بين ماضيه وحاضره ، دار الحرية (بغداد،1976م) .

● **المحمدي ، عبد القادر موسى.**

- الاغتراب في شعر صوفية الاسلام ، دار الحكمة (بغداد، 2001م) .

● **مصطفى ، د. شاكر.**

- التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، ط2 (بيروت، 1979م) .

● **مصطفى ، د.محمود.**

- القرآن كائن حي ، المطبعة العربية الحديثة (مصر، 1978م) .

● **المعاضيدي ، د.خاشع واخرون.**

- تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، دار الكتب (الموصل،1981م) .

● **المولى ، محمد جاد الحق واخرون.**

- ايام العرب في الجاهلية ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت، 1961م) .

● **الميرا، اسماعيل علي.**

- السلالات البشرية، مؤسسة عز الدين للطباعة (بيروت،1982م) .

(2) المصادر المعربـــة .

●اراكون ، د.محمد.

- الفكر الاسلامي (نقد واجتهاد) ترجمة وتعليق ، هاشم الشماع ، دار الساقي ، ط3 (بيروت، 1998م) .

●اسد ، محمد .

- الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ط9 (بيروت، 1977م) .

●اشبنجلر ، اسولد.

- تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة احمد الشيباني ، مكتبة الحياة (بيروت، 1964م) .

● بروكلمان ، كارل.

- تاريخ الادب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار دار المعارف (مصر، لات) .

●توينبي ، ارنولد.

- العالم والغرب، ترجمة عبد الواحد الانباري، الدار القومية للطباعة والنشر (بيروت، لات).
- مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة،1960م).

●جيري ، ويد.

- المذاهب الكبرى في التاريخ من كنفوشيوس الى توينبي ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار العلم (بيروت، 1972م) .

●ديورانت ، ول.

- قصة الحضارة ، ترجمة د. زكي محمود ، لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة،1949م).
- قصة الفلسفة، ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف ،ط3 (بيروت، 1975م) .

●روز نثال ، فرانز.

- علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح احمد العلي ، مكتبة المثنى (بغداد، 1963م) .

●**صديقي ، عبد الحميد.**

- تفسير التاريخ ، ترجمة د.كاظم الجوادي ، دار العلم ، (الكويت، 1969م) .

●**غرانجة ، كارستون.**

- العقل ، ترجمة هنري زغيب ، المنشورات الغربية مؤسسة نوفل (بيروت، 1988م) .

●**فرويد ، سيجموند.**

- موسى والتوحيد ،ترجمة فؤاد طرابيشي ، دار الطليعة ، ط2 (بيروت، 1977م).

●**نخبة من اساتذة الجامعات الاوربية والعربية .**

- اضواء عربية على اوربا في القرون الوسطى ، ترجمة عادل العوا ، منشورات عويدات (بيروت ، 1983م) .

●**نيلسن ، ديتلف واخرون.**

- التاريخ العربي القديم ، ترجمة فؤاد حسنين علي ، مكتبة النهضة العربية (القاهرة، لات) .

●**هاملتون ، جب .**

- دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة د. احسان عباس واخرون ، دار العلم للملايين ، ط2 (بيروت، 1974م) .

- علم التاريخ ، ترجمة ابراهيم خورشيد واخرون ، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1981م).

- **هرنشو ، ج. .**

– علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، دار الحداثة (بيروت، لات).

- **هوتون، هيكتور.**

– متعة الفلسفة ، ترجمة يعقوب يوسف ابونا ، بيت الحكمة(بغداد، 2002م) .

- **هورس ، جوزف.**

– قيمة التاريخ، ترجمة نسيب وهيبة الخازن، مكتبة الحياة(بيروت ، 1964م).

- **هونكة ، زينغريد.**

– فضل العرب على اوربا ، ترجمة د. فؤاد حسنين علي ، دار النهضة (مصر، لات).

- **وولش، و.هـ.**

– مدخل لفلسفة التاريخ ، ترجمة احمد حمدي محمود ، مؤسسة سجل العرب (القاهرة،1962م).

(3) الرسائل الجامعية .

- **الخفاجي ، د.مزهر.**

– خصائص الشخصية العراقية في التاريخ القديم (رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التاريخ العربي ، بغداد 1999م) .

- **الكيلاني ، رعد شمس الدين محي الدين.**

– الانبياء في العراق (اطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي، بغداد 1997م) .

(4) البحوث والمقالات .

- **بطانية ، د. محمد ضيف الله .**

– الوعض في حياة ابن الجوزي (بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية ، العدد الاول ، السنة الثانية ، بغداد ، 2001).

- **حبي ، د.يوسف.**

– الفارابي في دائرة المعارف الاسلامية (بحث منشور في مجلة المورد المجلد الرابع العدد الثالث بغداد 1975م).

- **الحكيم ، د.حسن.**

– الفكر التاريخي عند ابن الجوزي بين العقل والاسطورة (بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية ، العدد الاول السنة الثالثة بغداد 2001م) .

- **الطالبي ، د.محمد.**

– منهجية ابن خلدون التاريخية وتاثيرها في المقدمة وكتاب العبر (بحث منشور في ندوة جامعة الدول العربية ، تونس 1980م) .

- **عمر ، فائز طه.**

– ملامح الادب الفلسفي في النثر العربي (بحث منشور في مجلة اداب المستنصرية العدد 13 لسنة 1986م) .

- **غريغوري ، س . ن .**

– النظرات الفلسفية والاجتماعية والسياسية للفارابي (بحث منشور في مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الثالث بغداد 1975م) .

- **محفوظ ، د.حسين علي.**

– كتابة تاريخ الفلسفة العربية المعاصرة (بحث منشور في اعمال المؤتمر الفلسفي العربي الثالث، بيت الحكمة بغداد 2002م) .

● **الموسوي ، محمد جواد .**

– الفلسفة العربية المعاصرة وتطلعات الانسان العربي (بحث منشور في اعمال المؤتمر الفلسفي العربي الثالث ، بيت الحكمة ، بغداد 2002م) .

● **بن ميلاد ، د. محجوب .**

– مكانة ابن خلدون في تاريخ الفكر الاسلامي (بحث منشور خلال ندوة جامعة الدول العربية ، تونس 1980م) .